

فَنُّ الدِّرَاسَةِ



الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

فَنُّ الدَّرَاسَةِ

فَنُّ الدَّرَاسَةِ

الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

دار الأدب الإسلامي

جميع الحقوق محفوظة

إن حقوق التأليف محفوظة لورثة المؤلف فقط دون سواهم، ولا يجوز إعادة طبع هذا الكتاب كلياً أو جزئياً أو تخزينه في أي نظام لحزن المعلومات واسترجاعها، أو نقله على أي هيئة أو بأية وسيلة، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو استنساخاً أو تسجيلاً، أو الترجمة لأي لغة أخرى، أو تحويله إلى عمل إذاعي أو مرئي، أو غيرهما، إلا بإذن كتابي من أصحاب الحق الشرعي...

ويمكن استخدام الكتاب كوحدة متكاملة وبإسم مؤلفه، واسم الناشر كمرجع دراسي. كما يمكن الاقتباس منه وذكره كمرجع. (ودار الأدب الإسلامي) بصفتها المخول الوحيد عن ورثة المؤلف بطباعة ونشر وتوزيع كتب الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا - رحمه الله - تحذر من التعامل بأي طبعة غير مشروعة.

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

الإعداد الفني والجمع التصويري

بدار الأدب الإسلامي

رقم الإيداع

٩٧/٥١٥٠

دار الأدب الإسلامي

للنشر والتوزيع

شركة ذات مسئولية محدودة

ص.ب : ٨١ - بريد بانوراما

١١٨١١ القاهرة - ج.م.ع.

هاتف وفاكس : ٤٠٢٠٨٦٦

www.top25books.net/ilh.asp

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مُقَدِّمَةٌ

الْعَامُ الدَّرَاسِيُّ لَبِنَةٌ فِي بِنَاءِ صَرْحِ ثِقَافَتِنَا ، وَمَشْعَلٌ
وَهَاجٍ يُضَافُ إِلَى الْمَشَاعِلِ الَّتِي أَوْقَدْنَاهَا ؛ لِتُنِيرَ الطَّرِيقَ
أَمَامَ نَاشِئَتِنَا .

تَفْتَحُ فِيهِ الْمَدَارِسُ أَبْوَابَهَا ؛ لِتَسْتَقْبِلَ فَلَدَ أَكْبَادِ
هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلِتَسْتَقِرَّ فِي رِحَابِهَا آمَالُ الْأُلُوفِ مِنْ
أَبْنَائِهَا .

فَإِذَا آتَى هَذَا الْعَامُ أَكُلَهُ طَيِّبًا مُبَارَكًا ، عَادَ ذَلِكَ
بِالنَّفْعِ عَلَى كُلِّ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا ، وَجَنَّتْ يَانِعَ ثَمَرَاتِهِ ،
كُلُّ أُسْرَةٍ مِنْ أُسْرِنَا .

وَإِنَّهُ لِمِمَّا يُعِينُ عَلَى إِجْحَاحِ هَذَا الْعَامِ الدَّرَاسِيِّ ،
أَنْ يَعْرِفَ الطُّلَّابُ الطَّرِيقَ الْأَمْثَلَ لِلْقِرَاءَةِ وَالدَّرْسِ ...

وَأَنْ تُرَسِّمَ أَمَامَهُمُ السَّبِيلَ وَاضِحَةً ؛ لِيَتَأَلَّوْا حَدًّا
أَعْلَى مِنَ الْفَائِدَةِ يَبْدُلُ حَدَّ أَدْنَى مِنَ الْجُهْدِ .

لِهَذَا كُتِبَ ، آثَرْتُ أَنْ أَجْعَلَ حَدِيثِي هَذَا ، فِي
خِدْمَةِ أَتْنَائِي الطُّلَّابِ ، وَأَنْ أُبَيِّرَ السَّبِيلَ أَمَامَهُمْ ؛ لِيَكُونُوا
لِأَنْفُسِهِمْ طَرِيقَةً قَوِيْمَةً فِي الدِّرَاسَةِ وَالْقِرَاءَةِ .

فَلَكُمْ شَكَا إِلَيَّ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّهُ يُكِبُّ عَلَيَّ كُتْبِي
سَحَابَةً نَهَارِهِ ، وَطَرَفًا مِنْ لَيْلِهِ . ح ثُمَّ لَا يَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ
الْجُهْدِ الْمُضْنِيِّ ، إِلَّا بِمَحْضُولٍ تَأْفِيهِ .

وَلَكُمْ أَلْمَنِي أَنْ يُصَارِحَنِي بَعْضُهُمُ الْآخَرُ : بِأَنَّهُ
لَا يَكَادُ يُتِمُّ آخِرَ الْبَحْثِ ، إِلَّا وَيَكُونُ قَدْ نَسِيَ أَوَّلَهُ .

وَلَكُمْ قَالَ لِي قَائِلُهُمْ :

أَنَّهُ يَذُودُ عَنْ نَفْسِهِ الْكَسَلَ ذَوْدًا ، وَيَحْمِلُهَا عَلَيَّ
الدَّرْسِ وَالْمُطَالَعَةَ مَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا .

يَبْدُ أَنَّهُ لَا يَكَادُ يَسْتَقِرُّ فِي مَكَانِهِ ، حَتَّى تَغْشَاهُ
الْمَلَالَةُ وَالسَّامَةُ ، وَيَجِدَ فِي نَفْسِهِ غُرُوفًا شَدِيدًا عَنِ

الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ ، وَحَتَّى يَنْفَرِحَ فَمُهُ لِلتَّائِبِ ، وَتَمْتَدَّ

ذِرَاعَاهُ لِلتَّمَطِّي . ٣٠

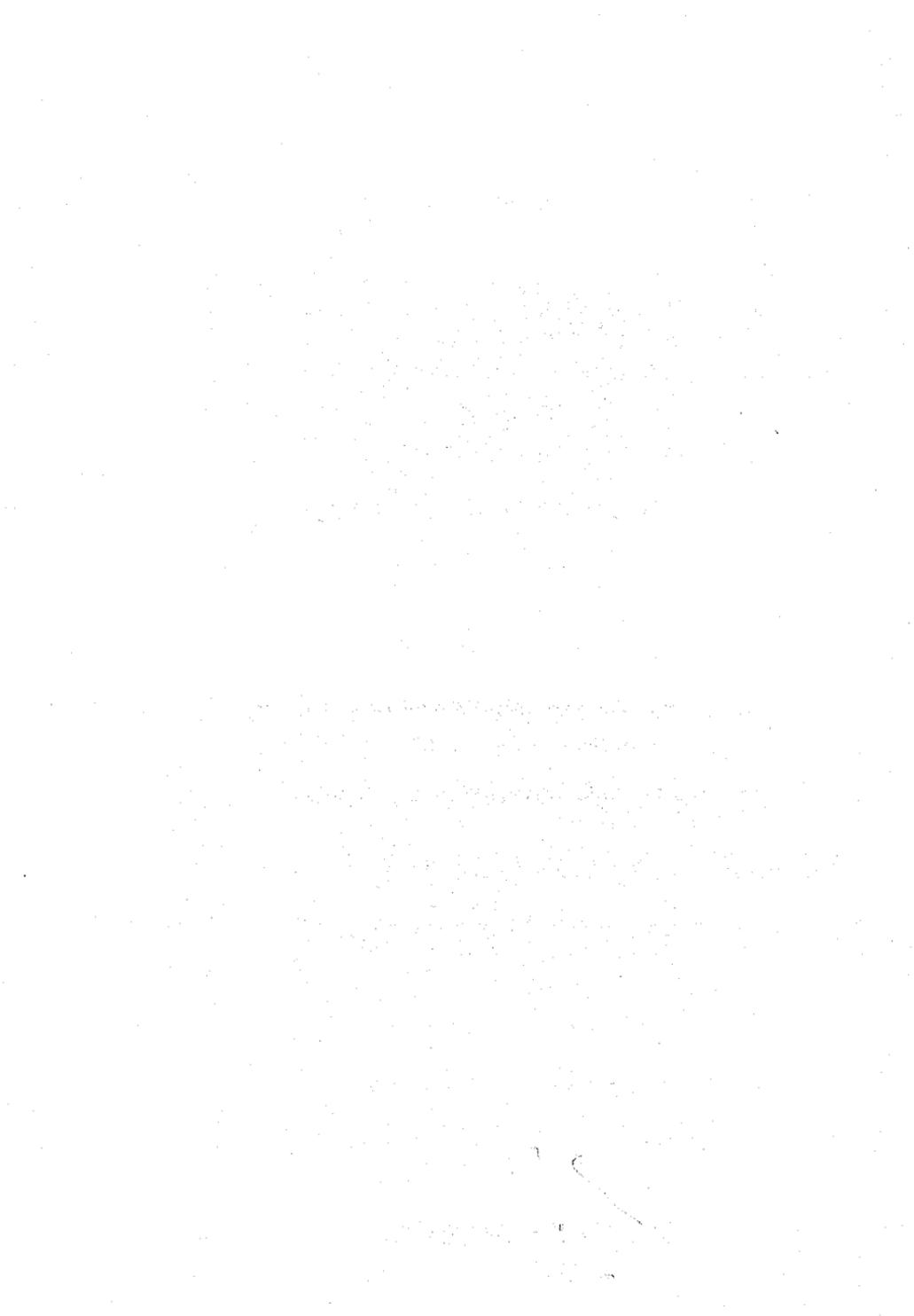
ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يُغْلِقَ كِتَابَهُ ، وَيَنْصَرِفَ إِلَى شَأْنٍ

آخَرَ مِنْ شُؤْنِهِ .

فَالِى هَؤُلَاءِ الطُّلَابِ جَمِيعًا ، أُسْوَقُ حَدِيثِي عَلَيْهِمُ

يَجِدُونَ فِيهِ مَا يُعِينُهُمْ عَلَى حَلِّ مَشَاكِلِهِمْ هَذِهِ .

* * *



الدَّرَاسَةُ طَرِيقُ التَّعَلُّمِ

أَبْنَائِي الطَّلَبَةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ .٥٠

تَحِيَّةٌ لَكُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ طَيِّبَةٌ مُبَارَكَةٌ ، وَضِرَاعَةٌ إِلَيْهِ
- سُبْحَانَهُ - أَنْ يَنْفَعَكُمْ ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِكُمْ عَلَى الدَّوَامِ .

وَبَعْدُ ٥١. فَإِنَّ الْأُلُوفَ الْمُؤَلَّفَةَ مِنْ طُلَّابِنَا وَفَلَدِ
أَكْبَادِنَا الْمُنتَظِمِينَ فِي مَرَاكِحِ التَّعْلِيمِ الْمُخْتَلِفَةِ ،
يُوَاجِهُونَ كُلَّ عَامٍ كَثِيرًا مِنْ مُشْكِلَاتِ الدَّرَاسَةِ
الْمُسْتَعْصِيَةِ ، وَيَتَعَرَّضُونَ فِي مَسِيرَتِهِمْ الْكُبْرَى إِلَى
مَصَاعِبِ الطَّرِيقِ ٥٢ .

فَيَسْقُطُ بَعْضُهُمْ عَلَى حِفَافِيهِ (١) ، وَيَتَابِعُ بَعْضُهُمْ
الْآخَرَ سَيْرَهُ بَطِيءَ الْخُطَى ، مَوْهُونَ الْقُوَى .

(١) عَلَى حِفَافِيهِ : عَلَى جَوَانِهِ .

لِأَنَّ الْقَلِيلَ مِنْهُمْ يَمْضِي فِي دِرَاسَتِهِ عَلَى نَهْجِ
صَحِيحٍ ...

بَيْنَمَا يَسْلُكُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ سُبُلًا وَعَرَّةَ الْفِجَاجِ (١)،
مُلتَوِيَّةَ الشُّعَابِ، كَثِيرَةَ الْجُهْدِ، قَلِيلَةَ الثَّمَرَاتِ .

فَكَمِ مِنْ شَابٍّ أَخْفَقَ فِي دِرَاسَتِهِ، فَفَقَدَ ثِقَتَهُ
بِنَفْسِهِ عَلَى مَدَى الْحَيَاةِ .

وَكَمِ مِنْ طَالِبٍ مَضَى فِي مِنْهَاجِهِ عَلَى كُرْهِ مِنْهُ
وَاشْتِزَازٍ .

وَلَوْ أُتِيحَ لَهُؤُلَاءِ وَهؤُلَاءِ قَدْرٌ وَافٍ مِنَ الْإِرْشَادِ
الْوَاعِي إِلَى أَسَالِيْبِ الدِّرَاسَةِ الْقَوِيْمَةِ وَطُرُقِهَا النَّافِعَةِ .
لَمَا أَخْفَقَ الَّذِي أَخْفَقَ، وَلَمَا قَضَى الْآخِرُ أَجْمَلَ
سِنِي حَيَاتِهِ كَأَسْفِ الْبَالِ، حَزِينَ النَّفْسِ، مُوقِرًا (٢)
بِالْأَثْقَالِ .

لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ أَمْرَ التَّخْطِيطِ لِلتَّعْلِيمِ فِي بَلَدٍ مَا ؛

(١) وعرة الفجاج: مسالك الأرض الوعرة بين الجبال .

(٢) موقراً: محملاً .

لَجَعَلْتُ فَنَ الدَّرَاسَةَ فِي مُقَدِّمَةِ مَا يَتَلَقَّاهُ الطُّلَّابُ فِي
مَرَاكِحِ التَّعْلِيمِ الْمُتَوَسِّطَةِ ، وَالثَّانَوِيَّةِ ، وَالْجَامِعِيَّةِ ^{حسب}
وَلَا تَحْدُثُ مِنْهُ الثُّورَ الَّذِي يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ،
وَالْمُرْشِدَ الَّذِي يُسَدِّدُ خُطَاهُمْ ، وَالرَّائِدَ الَّذِي يَرُودُ (١)
لَهُمُ الْمَجَاهِلَ .

ذَلِكَ بِأَنَّهُ فَنٌ يَهْدِفُ إِلَى تَعْلِيمِ الطَّالِبِ :
كَيْفَ يُفَكِّرُ ، وَيُنَاقِشُ ، وَيُلَاحِظُ ...
وَكَيْفَ يُحَلِّلُ ، وَيُنظِّمُ ، وَيُرَكِّزُ ...
وَكَيْفَ يَسْتَوْعِبُ ، وَيَخْتَرِنُ ، وَيُطَبِّقُ .
وَذَلِكَ إِلَى جَانِبِ حِرْصِهِ عَلَى تَنْظِيمِ الْوَقْتِ ،
وَالْإِفَادَةِ مِنْهُ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ .

فَلِلدَّرَاسَةِ غَايَتَانِ اثْنَتَانِ :
الأولى اكْتِسَابُ قَدْرِ مُعَيَّنٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ ...

(١) يرود لهم : يقودهم ويعرفهم .

وَالثَّانِيَةُ الْحُصُولُ عَلَى بَرَاعَةٍ (١) مُعَيَّنَةٍ فِي عَمَلِ
الْأَشْيَاءِ .

وَإِنَّ تَعَلُّمَنَا كَيْفَ نَدْرُسُ دِرَاسَةً فَعَالَةً لَأَبْعُدُ أَثَرًا
وَأَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ اكْتِسَابِ الْمَعْلُومَاتِ .

لَقَدْ أَدْرَكَتِ الْمَوْسَسَاتُ التَّعْلِيمِيَّةُ فِي أَوْرَبَا
وَأَمْرِيكَا خَطَرَ هَذَا الْمَوْضُوعِ ، فَأَقَامَتْ لِطُلَّابِهَا دَوْرَاتِ
تَعْلِيمِيَّةً فِي فَنِّ الدِّرَاسَةِ ، ثُمَّ رَصَدَتْ نَتَائِجَ هَذِهِ
الدَّوْرَاتِ وَقَوَّمتَهَا . فَوَجَدَتْ أَنَّ التَّمَرَاتِ الَّتِي أَعْطَتْهَا
فَاقَتْ كُلَّ تَقْدِيرٍ ، وَأَنَّ الطُّلَّابَ النَّابِغِينَ الَّذِينَ ظُنُّوا أَنَّهُمْ
فِي غِنَى عَنِ هَذِهِ الدَّوْرَاتِ ؛ كَانُوا أَعْظَمَ فَائِدَةً وَأَوْفَرَ
نَفْعًا .

لَقَدْ كَانُوا يَقُولُونَ قَدِيمًا :

إِنَّهُ لَيْسَتْ لِلْعِلْمِ طَرِيقٌ مُعَبَّدَةٌ .

غَيْرَ أَنَّ فَنِّ الدِّرَاسَةِ يَقُولُ :

إِنَّ الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ ، وَإِثْبَانَ الْبَيِّنَاتِ مِنْ أَبْوَابِهَا ؛

(١) البراعة: المهارة أو الإتقان .

يَجْعَلُ طَرِيقَ الْعِلْمِ مُعَبَّدًا قَدْرَ الْإِمْكَانِ .

وَقَبَلَ الْإِيغَالَ (١) فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ ، أَحَبُّ أَنْ
أُغْلِنَ بِأَنْبِي سَوْفَ لَا أَتَنَاوَلُهُ مِنْ جَوَانِبِهِ النَّظَرِيَّةِ الْبَحْتَةِ ؛
فَذَلِكَ مِنْ شَأْنِ الْمُخْتَصِّينَ بِالتَّرْبِيَةِ وَعِلْمِ النَّفْسِ بِهَا
وَإِنَّمَا سَأَتَنَاوَلُهُ مِنْ خِلَالِ تَجْرِبَتِي الْخَاصَّةِ مُتَعَلِّمًا
وَمُعَلِّمًا .

وَلِاتِّصَالِي بِهِذَا الْمَوْضُوعِ قِصَّةٌ :

كَانَ ذَلِكَ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثُلْثِ قَرْنٍ ، وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ
طَالِبًا فِي « الْقَاهِرَةِ » .

كُنْتُ أَمْرًا أَمَامَ سُورِ حَدِيثَةِ الْأَرْبَكِيَّةِ ١٠٨

وَسُورِ حَدِيثَةِ الْأَرْبَكِيَّةِ هَذَا مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ فِي
الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ كُلِّهِ ، فَلَا يَكَادُ يَوْمٌ « الْقَاهِرَةَ » طَالِبٌ مِنْ
طُلَّابِ الْعِلْمِ إِلَّا وَيَطُوفُ بِهِ .

فَعَلَى مَثْنِيهِ الطَّوِيلِ ؛ تُعْرَضُ أَكْدَاسٌ مِنَ الْكُتُبِ

(١) الإيغال: التعمق في الأمر والدخول فيه .

المُستعمَلَة التي ضاقَ بِهَا أصحابُهَا ذَرْعًا فَنَبَذُوهَا مِنْ
يُتُوبِهِمْ، ثُمَّ تَلَقَّفَهَا بَاعَةٌ هَذَا السُّورِ، وَعَرَضُوهَا أَمَامَ
الْمَارِّينَ بِأَبْحَسِ الْأَثْمَانِ .

مِنْ فَوْقِ سُورِ حَدِيقَةِ الْأَرْبَكِيَّةِ هَذَا، اشْتَرَيْتُ ذَاتَ
مَسَاءٍ كُتَيْبًا صَغِيرَ الْحَجْمِ ضَيْلَ الْجُرْمِ^(١) لَا يَزِيدُ عَدْدُ
صَفَحَاتِهِ الصَّغِيرَةِ عَلَى الْخَمْسِينَ .

لَقَدْ أَعْرَانِي بِشِرَائِهِ رُخْصٌ ثَمَنِهِ مِنْ جِهَةٍ،
وَالْفُضُولُ الَّذِي أَثَارَهُ فِيَّ عِنْوَانُهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى .

أَمَّا عُنْوَانُ الْكُتَيْبِ فَهُوَ « فُنُّ الْقِرَاءَةِ وَالدَّرْسِ »
وَكَانَ مَصْدَرُهُ دَارَ الْعِلْمِ لِلْمَلَائِينِ فِي « بَيْرُوتَ » ، وَأَمَّا
ثَمَنُهُ فَقَرُوشٌ مِصْرِيٌّ وَاحِدٌ .

وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّنِي مَا دَفَعْتُ فِي حَيَاتِي مَبْلَغًا مِنْ
الْمَالِ، وَأَخَذْتُ أَلْفَ ضِعْفِهِ إِلَّا فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ .

فَلَقَدْ انْتَفَعْتُ مِنْ هَذَا الْكُتَيْبِ الصَّغِيرِ طَالِبًا؛ فَيَسَّرَ

(١) ضيّل الجرم: صغير الجسم .

لِي الْعَسِيرَ، وَقَرَّبَ الْبَعِيدَ، وَذَلَّلَ الصَّعْبَ ...
وَأَنْتَفَعْتُ بِهِ مُدْرِّسًا؛ فَأَسَدَيْتُ مِنْ خِلَالِهِ النَّصْحَ
إِلَى مِثَالِ الطُّلَّابِ ...

وَأَنْتَفَعْتُ بِهِ مُفْتِّسًا لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَكَبِيرًا لِمُفْتِّسِيهَا؛
فَكَانَ خَيْرَ مِعْوَانٍ لِي عَلَى مُهِمَّتِي .

ثُمَّ إِنَّهُ دَفَعَنِي إِلَى قِرَاءَةِ جَمِيعِ مَا وَقَعَ تَحْتَ يَدَيَّ
مِنَ الْكُتُبِ الْأُخْرَى الَّتِي تُعَالِجُ هَذَا الْمَوْضُوعَ .

* * *

خُطَّةُ الدِّرَاسَةِ

لَقَدْ عَرَفْتُ مِنْ هَذَا الْكُتَيْبِ - « فُنُّ الْقِرَاءَةِ
وَالدَّرْسِ » - أَنَّ عَمَلِيَّةَ التَّعَلُّمِ أَشْبَهُ مَا تَكُونُ بِمَعْرَكَةٍ ذَاتِ
أَهْدَافٍ ...

وَأَنَّ الدِّرَاسَةَ الْجَادَّةَ حَرْبٌ عَلَى الْكَسَلِ وَالْفَوْضَى
وَالضَّيَاعِ ، وَنِضَالٌ مَعَ النَّفْسِ .

وَلَا بُدَّ لِكُلِّ مَعْرَكَةٍ ظَافِرَةٍ مِنْ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ .

وِخُطَّةُ الدِّرَاسَةِ تَتَمَثَّلُ فِي « بَرْنَامِجٍ » تَضَعُهُ
لِنَفْسِكَ بِنَفْسِكَ ، وَفِي ضَوْءِ حَاجَاتِكَ وَقُدْرَاتِكَ
وَوَظُرُوفِكَ .

وَأُرِيدُ أَنْ أَضْغَطَ عَلَى كَلِمَةِ « بَرْنَامِجٍ » ؛ لِأَنَّهَا
تُمَثِّلُ الرِّكِيزَةَ الْأُولَى فِي مَوْضُوعِنَا هَذَا .

وَلَا إِذْرَاكَ أَهْمِيَّةٌ هَذَا «الْبِرْتَمَاجِ» أَرْجُو مِنْ كُلِّ
وَاحِدٍ مِنْ أَبْنَائِي الطُّلَّابِ أَنْ يُجْرِيَ عَلَيَّ نَفْسِهِ التَّجْرِبَةَ
التَّالِيَةَ :

أَقْتَرِحُ عَلَيْهِ إِذَا مَا هَمَّ بِأَنْ يَأْوِيَ إِلَيَّ فِرَاشِهِ فِي هَذِهِ
اللَّيْلَةِ أَنْ يَأْخُذَ وَرَقَةً وَقَلَمًا ... وَأَنْ يَوْصِدَ (١) بِأَمَانَةٍ
وَصِدْقِي كُلَّ دَقِيقَةٍ مِنْ دَقَائِقِ يَوْمِهِ الْمُنْصَرِمِ ، مُنْذُ أَوَى
إِلَيَّ فِرَاشِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ إِلَيَّ أَنْ هَمَّ بِالنُّومِ فِي هَذِهِ
اللَّيْلَةِ ...

وَأَنْ يَضَعَ أَمَامَ كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِهِ الْأَرْبَعِ
وَالْعِشْرِينَ مَا قَامَ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ .

أَغْلَبُ الظَّنَّ أَنَّهُ سَيَجِدُ نَفْسَهُ أَمَامَ نَتِيجَةِ مُذْهِلَةِ
مُحْزَنَةٍ مَا كَانَ يَتَوَقَّعُهَا أَبَدًا ...

وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا رَمَاهُ بِمَا أَسْفَرَتْ (٢) عَنْهُ هَذِهِ
النَّتِيجَةُ ؛ لَمَا سَكَتَ عَلَيَّ هَذِهِ الْإِهَانَةَ الَّتِي وُجِّهَتْ إِلَيْهِ .

(١) يرصد : يراقب ويكتشف . (٢) أسفرت : كشفت .

يَبْدَأَنَّ هَذِهِ التَّيَّجَةَ - عَلَى أَيِّ حَالٍ - سَتَدْفَعُهُ إِلَى
وَضَعِ « بَرْنَامِجٍ » يُنظِّمُ بِهِ حَيَاتَهُ ... فَيَصُونُ وَقْتَهُ مِنْ أَنْ
يُبَدَّدَ ، وَيَحْفَظُ جُهْدَهُ مِنْ أَنْ يُهْدَرَ ، وَيَحْمِي طَاقَاتِهِ مِنْ
أَنْ تَضَيِّعَ ، وَيَجْعَلُ لُوجُودِهِ مَعْنَى ، وَلِحَيَاتِهِ طَعْمًا .

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّكَ سَتَضَعُ بَرْنَامَجَكَ لِتَنْفِسَكَ
بِنَفْسِكَ ؛ فَالْمُرَبُّونَ يَنْتَهِزُونَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ لِيَسُدُّوا إِلَيْكَ
بَعْضَ النَّصَائِحِ ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ لَكَ :

اجْعَلْ لِكُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ يَوْمِكَ عَمَلًا مُعَيَّنًا ، وَلِكُلِّ
عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِكَ وَقْتًا خَاصًّا .

وَهَذَا لَا يَعْنِي أَنْ تُحَوِّلَ حَيَاتَكَ كُلَّهَا إِلَى عَمَلٍ
دَائِمٍ دَائِبٍ . وَإِنَّمَا يَعْنِي أَنْ تُفَرِّغَ يَوْمَكَ كُلَّهُ : نَوْمَهُ
وَصَحْوَهُ وَجِدَّهُ وَلَهْوَهُ فِي « بَرْنَامِجٍ » ؛ لِتَكُونَ عَلَى بَيِّنَةٍ
مِنْ عُمْرِكَ كَيْفَ تُفْنِيهِ ، وَشَبَابِكَ كَيْفَ تُبْلِيهِ .

هَذَا ، وَإِنْ تَنْظِيمَ الْحَيَاةِ فِي « بَرْنَامِجٍ » مِنْ شَأْنِهِ
أَنْ يُتَيْخَ لِلْمَرْءِ فُرْصًا كَافِيَةً لِلِاسْتِمْتَاعِ بِالْعَيْشِ ،

وَالْمُشَارَكَةِ فِي وُجُوهِ النَّشَاطِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَأَدَاءِ
الْوَاجِبَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ...

بَلْ هُوَ الَّذِي يُعْطِي لِلْمُتَعَةِ مَعْنَاهَا وَيُنْقِئُهَا مِنْ
شَوَائِبِ الشُّعُورِ بِالتَّقْصِيرِ .

إِنَّ هَذَا «الْبِرْنَامَج» لَا يَسْتَقِيمُ لَكَ ...

• إِلَّا إِذَا شَمِلَ يَوْمَكَ كُلَّهُ دَقِيقَةً فَدَقِيقَةً وَسَاعَةً
فَسَاعَةً ، مُنْذُ الْإِسْتِيقَازِ إِلَى أَنْ تَأْوِيَ إِلَى فِرَاشِكَ ...

• وَإِلَّا إِذَا نَظَرْتَ عِنْدَ وَضْعِهِ إِلَى يَوْمِكَ
وَأُسْبُوعِكَ وَشَهْرِكَ ، بَلْ وَسَنَتِكَ الدَّرَاسِيَّةِ كُلِّهَا أَيْضًا .

وَالطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى لِوَضْعِ الْبِرْنَامَجِ أَنْ تُحْطِطَهُ عَلَى
أَسَاسِ الْأُسْبُوعِ .

وَأَنْ تَمَلَأَ سَاعَاتِهِ - أَوَّلًا - بِالْأَعْمَالِ الثَّابِتَةِ ، وَنَعْنِي
بِهَا وَقْتُ الدَّرَاسَةِ فِي الْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْكُلِّيَّاتِ ،
وَفَتْرَاتِ الصَّلَاةِ ، وَالطَّعَامِ ، وَالتَّوْمِ .

ثُمَّ انظُرْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْوَقْتِ الْبَاقِيِ وَإِلَى مَوَازِكِ

الدَّرَاسِيَّةِ ، وَحَاجَاتِكَ الْعَمَلِيَّةِ .

وَأَبْدَأُ بِتَحْمِينِ مَا تَحْتَاجُهُ كُلُّ مَادَّةٍ ، وَضَعُهُ فِي
السَّاعَةِ الْمَلَائِمَةِ لَهُ .

وَحَاوِلْ - وَأَنْتِ تَضَعُ بَرْنَامَجَكَ هَذَا - أَنْ تَكُونَ
وَاقِعِيًّا مَنْطِقِيًّا .

أَغْلَبُ الظَّنُّ أَنَّكَ سَتَضَعُهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ
فُورْتِكَ وَتَوْتِيكَ^(١) ... فَكَبِّحْ جِمَاحَ نَفْسِكَ ، وَتَذَكَّرْ
أَنَّكَ تَضَعُ بَرْنَامَجًا لِفَضْلِ دِرَاسِيٍّ يَشْغَلُ نِصْفَ الْعَامِ ،
أَوْ لِعَامِ دِرَاسِيٍّ كَامِلٍ يَشْغَلُ السَّنَةَ كُلَّهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ النُّفُوسَ تَمَلُّ ، وَأَنَّ الْأَجْسَادَ تَكِلُّ ، وَأَنَّ
الْمُنْبِتَّ^(٢) لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى ...

إِيَّاكَ وَالْإِفْرَاطَ فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الْإِحْفَاقِ ، وَلِلْإِحْفَاقِ
أَوْحَمَ الْعَوَاقِبِ ...

(١) فورتك وتوتيك : قمة نشاطك واهتمامك .

(٢) المنبتُّ : الذي يسير وحده منقطعًا عن بقية القافلة .

وَإِيَّاكَ وَالتَّفْرِيطَ أَيْضًا، وَذَلِكَ بِأَنْ تَجْعَلَ
بِرْزَانَمَجِكَ دُونَ طَاقَاتِكَ، فَذَلِكَ أَمْرٌ لَا تَقِلُّ عَوَاقِبُهُ
سُوءًا عَنِ الْإِفْرَاطِ ...

إِنَّهُ مَدْعَاةٌ لِلْكَسَلِ، وَقَنَاعَةٌ بِالْأَذْنَى .

وَمَنْ مِنَّا لَا يُرِيدُ أَنْ يَرْتَفِعَ عَنِ مُسْتَوَى
الْأَعْشَابِ ؟ ...

وَمَنْ مِنَّا لَا يَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مَطَامِيحُهُ أَبْعَدَ مِمَّا تَصِلُ
إِلَيْهِ يَدَاهُ، وَإِلَّا فَلِمَ إِذَا خُلِقْتَ الْقِمَمُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ ؟ .

وَمَا دُئِمْنَا قَدْ دَعَوْنَاكَ إِلَى اتِّخَاذِ الْوَاقِعِيَّةِ أَسَاسًا فِي
وَضْعِ بِرْزَانَمَجِكَ، فَيَحْسُنُ بِنَا أَنْ نُنَبِّهَكَ إِلَى أَنَّ عَلَيْكَ
أَنْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ ...

وَأَنْ تُحْسِنَ تَقْدِيرَ قُورَاكَ وَأَعْبَائِكَ .

إِنَّ بَعْضَنَا يُعَالِي فِي تَقْدِيرِ قُوَّتِهِ، وَبَعْضَنَا الْآخَرَ
يُنْحَسُ نَفْسَهُ حَقَّهَا، وَلَكِنَّا فِي الْأَغْلَبِ - مَعَ شَدِيدِ
الْأَسْفِ - مِنَ الْمُعَالِينَ فِي هَذَا الْمَجَالِ .

لَقَدْ أُجْرِيَتْ تَجْرِبَةٌ فِي هَذَا الصَّدَدِ ؛ فَطَرَحَ أَحَدُ
الْمُرَبِّينَ عَلَى مِائَةٍ مِنَ الطُّلَّابِ طَائِفَةً مِنَ الْأَسْئَلَةِ لِاخْتِبَارِ
نَظَرَتِهِمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ... وَطَلَبَ إِلَى كُلِّ مِنْهُمْ أَنْ يَضَعُ
لِنَفْسِهِ أَمَامَ كُلِّ سُؤَالٍ إِحْدَى الدَّرَجَاتِ التَّالِيَةِ :

ضَعِيفٌ ، وَسَطٌ ، مُتَّفَقٌ .

فَكَانَتِ النَّيْجَةُ أَنَّ ثَمَانِيَةَ مِنَ الْمِائَةِ قَالُوا عَنْ
أَنْفُسِهِمْ : أَنَّهُمْ ضِعَافٌ ...

بَيْنَمَا قَالَ سِتُّونَ : أَنَّهُمْ مُتَّفَقُونَ .

وَالْحَقِيقَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ ، فَالْتَّبَعَاءُ الْمُتَّفَقُونَ
لَا يَتَجَاوَزُونَ عَادَةَ الْعَشْرَةِ فِي كُلِّ مِائَةٍ .

ثُمَّ لَا تَنْسَ وَأَنْتَ تَضَعُ بَرَنَامَجَكَ أَنْ تُعْطِيَ الْوَقْتَ
الْأَفْضَلَ وَالْأَطْوَلَ لِلْمَادَّةِ الْأَصْعَبِ ...

وَالْوَقْتُ الْأَفْضَلُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الدُّهْنُ فِي
رَبْعَانِ قُوَّتِهِ وَحِدَّةِ نَشَاطِهِ .

أَمَّا الْمَوَادُّ الَّتِي تُحِبُّهَا وَتَجِدُ لَذَّةً فِي دِرَاسَتِهَا

فِيحْسُنُ أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْمُؤَخَّرَةِ، أَوْ تُرَاحَ (١) بِهَا بَيْنَ
مَادَّتَيْنِ صَعْبَتَيْنِ .

ثُمَّ اعْمِدْ وَأَنْتَ تَضَعُ بَرْنَامَجَكَ الْأُسْبُوعِيَّ إِلَى
التَّوْزِيعِ لَا إِلَى التَّجْمِيعِ ...

فَإِذَا كُنْتَ قَدْ خَصَصْتَ مَادَّةَ « النَّحْوِ » - مَثَلًا -
بِأَرْبَعِ سَاعَاتٍ فِي الْأُسْبُوعِ، فَاجْعَلْهَا فِي أَرْبَعِ لَيَالٍ بَدَلًا
مِنْ لَيْلَةٍ أَوْ لَيْلَتَيْنِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ عَقْلَكَ يَعْمَلُ بَيْنَ الْفَتْرَتَيْنِ
فِي إِنْصَاحِ الْمَعْلُومَاتِ .

وَلَكِنِّي لَا يَغْتَرِي بَرْنَامَجَكَ الْخَلَلُ، وَلَكِنِّي
لَا تَجُورُ فِيهِ مَادَّةٌ عَلَى مَادَّةٍ، يُوصِيكَ الْمُرَبُّونَ :

يَأْنُ تَجْعَلَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ وَقْتًا احْتِيَاطِيًّا مُدَّتُهُ نِصْفُ
سَاعَةٍ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَضْمُونِ أَنْ تَنْتَهِيَ الْمَادَّةُ
فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَدَّرْتَهُ لِإِنجَازِهَا فِيهِ .

وَلَكِن، اعْزِمْ مِنْذُ اللَّحْظَةِ الْأُولَى عَلَى أَلَّا تَسْتَعْمِلَ

(١) رواح بين الشيئين: تناوله مرة بعد مرة .

هَذَا الْوَقْتِ الْإِحْتِيَاطِيَّ إِلَّا فِي حَالَةِ الضَّرُورَةِ
الْقُضَوَى ...

وَاحْزِرْ أَمْرَكَ عَلَى أَنْ تَنْتَهِيَ كُلَّ مَادَّةٍ فِي الْوَقْتِ
الْمُحَدَّدِ لَهَا .

وَعِنْدَ ذَلِكَ تَسْتَطِيعُ الْإِفَادَةَ مِنَ الْوَقْتِ الْإِضَافِيِّ
فِي مُرَاجَعَةٍ عَامَّةٍ لِأَهَمِّ مَا دَرَسْتَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ .

وَلَكِنِّي لَا يَعْتَرِي بَرُونَامَجَكَ الْحَلَلُ أَيْضًا ضَعَّ
خَمْسَ سَاعَاتٍ احْتِيَاطِيَّةً كُلَّ أُسْبُوعٍ لِمُوَاجَهَةِ
مَا يُفَاجِئُكَ مِنْ مُشْكِلَاتٍ ، أَوْ مَا تُكَلِّفُ الْقِيَامَ بِهِ مِنْ
وُظَائِفٍ وَأَعْمَالٍ .

وَلَكِنِ حَذَارِ أَنْ تَظُنَّ أَنَّ بَرُونَامَجَكَ هَذَا سَيَكُونُ
دَقِيقًا وَافِيًا بِالْعَرَضِ مُنْذُ أَوَّلِ مَرَّةٍ .

فَأَنْتَ عِنْدَ تَطْبِيقِهِ سَتَجِدُ فِيهِ كَثِيرًا مِنَ الثُّغْرِ ،
فَاعْمِدْ فِي ضَوْءِ التَّجْرِبَةِ إِلَى تَنْقِيحِهِ وَتَعْدِيلِهِ وَسَدِّ ثُغْرِهِ ،
حَتَّى يَغْدُو مُلَائِمًا لِظُرُوفِكَ ، مُحَقِّقًا لِأَغْرَاضِكَ .

وَأَخِيرًا ضَعَّ بِرِزَامِكَ هَذَا فِي مَكَانٍ يَجْعَلُهُ فِي
مُتَنَاوِلِ يَدِكَ كُلَّمَا شِئْتَ .

وَتَبَّتْ نُسْخَةٌ مِنْهُ فِي مَوْضِعٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَاهُ مِنْهُ
مَرَّاتٍ عَدِيدَةً كُلَّ يَوْمٍ .

* * *

الإرهاق وصحة الطالب

هَذَا، وَإِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ وَضْعِ «الْبِرْنَامَجِ» فِي ضَوْءِ طَاقَاتِ الدَّارِسِ وَإِمْكَانَاتِهِ؛ يَشُوْقُ عَادَةً إِلَى الْحَدِيثِ عَنِ الْإِرْهَاقِ وَالتَّعَبِ، وَالْخَوْفِ مِنْهُمَا عَلَى صِحَّةِ الطَّالِبِ.

وَهُنَا لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَضَعَ نُصْبَ أَعْيُنِنَا الْحَقِيقَةَ

التَّالِيَةَ:

وَهِيَ أَنَّ التَّعَبَ أَمْرٌ لَا زِمٌ لِلْحَيَاةِ ... فَالْعَمَلُ الصَّادِقُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُورَثَ (١) تَعَبًا.

وَمَا دَامَتِ الْحَيَاةُ لَا تَسْتَقِيمُ بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَقُودُنَا إِلَى أَنَّ التَّعَبَ ضَرُورَةٌ مِنْ ضَرُورَاتِ الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ، وَمُقَوِّمٌ أَصِيلٌ مِنْ مُقَوِّمَاتِهِ.

(١) يورث تعبا: يكون عاقبته التعب.

إِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نَحْشَاهُ عَلَى أَنْفُسِنَا
وَأَبْنَائِنَا ، هُوَ الْإِفْرَاطُ^(١) فِي التَّعَبِ لَا التَّعَبُ نَفْسَهُ .
فَإِذَا قَامَ أَحَدُنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ بِعَمَلٍ مُجْهِدٍ جَعَلَهُ يَقُولُ :
آه ... هَآنَذَا قَدْ أَنْهَكْتُ قُوَايَ .

ثُمَّ أَوْى إِلَى فِرَاشِهِ ؛ فَنَامَ نَوْمًا هَادِيًا كَافِيًا ،
وَاسْتَيْقَظَ فِي فَجْرِ يَوْمِهِ التَّالِي كَمَا اعْتَادَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ فِي
كُلِّ صَبَاحٍ ، وَأَدَّى صَلَاتَهُ الْمَكْتُوبَةَ ، وَبَاشَرَ عَمَلَهُ كَمَا
يُبَاشِرُهُ كُلَّ يَوْمٍ ... فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ تَعِبَ تَعَبًا عَادِيًا
تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ الْعَمَلِ .

أَمَّا إِذَا أَوْى إِلَى فِرَاشِهِ ؛ فَنَامَ نَوْمًا مُسْتَتًا مُسْرَدًا ،
وَاسْتَيْقَظَ فِي يَوْمِهِ التَّالِي مَوْهُونَ الْقُوَى ، وَشَعَرَ بِنَقْصٍ
فِي كِفَايَتِهِ ... فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ قَدْ أَفْرَطَ فِي التَّعَبِ ،
وَجَاوَزَ فِي الْعَمَلِ الْحَدَّ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ .

هَذَا ، وَإِنَّا حِينَ نَتَّعِبُ التَّعَبَ الطَّبِيعِيَّ لَا نَكُونُ فِي

(١) الإفراط: هو تجاوز الحد في عمل ما .

الْعَادَةِ قَدْ اسْتَنْفَدْنَا طَاقَاتِنَا كُلَّهَا ، وَإِنَّمَا يَكُونُ قَدْ بَقِيَ
لَدَيْنَا شَيْءٌ مِنْهَا نَدَّخِرُهُ لِمُجَابَهَةِ الْأَزْمَاتِ الْعَارِضَةِ ، حَتَّى
إِذَا مَا أَلَمَّ خَطْبٌ أَوْ دَهَمٌ أَمُرُّ اسْتَنْجَدْنَا بِهَذِهِ الْقُوَى
الِإِحْتِيَاطِيَّةِ ، وَاعْتَمَدْنَا عَلَيْهَا فِي مُوَاجَهَةِ الْأَزْمَاتِ .

وَلَكِنْ حَذَارٍ مِنْ اسْتِخْدَامِ هَذِهِ الْقُوَى إِلَّا فِي
حَالَاتِ الضَّرُورَةِ الْقُضُوى ...

ذَلِكَ لِأَنَّ الْعَمَلَ الَّذِي يَقُومُ بِهِ أَحَدُنَا وَهُوَ مُتَعَبٌ ،
قَدْ يُثْمِرُ ثَمَرَتَهُ بِفَضْلِ هَذِهِ الْقُوَّةِ الْإِحْتِيَاطِيَّةِ ...
غَيْرَ أَنَّهَا ثَمَرَةٌ نَدْفَعُ ثَمَنَهَا أضعَافَ مَا تَسْتَحِقُّ .

* * *

مَرَا حِلُ الدَّرَاسَةِ

أَيُّهَا الأَبْنَاءُ الأَعِزَّةُ ، أَرَانَا قَدْ أَطَلْنَا الحَدِيثَ عَنِ التَّعَبِ حَتَّى كَادَ يُنْسِينَا ذَلِكَ « البَرْنَامَج » الَّذِي دَعَا إِلَى هَذَا الإِسْتِطْرَادِ .

فَلْتَعُدُّ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ وَلْتَقُلْ :

إِنَّ البَرْنَامَج الَّذِي أَفْرَعْتَ فِي إِعْدَادِهِ غَايَةَ جُهْدِكَ
لَيْسَ مِنَ الدَّرَاسَةِ فِي شَيْءٍ ...

إِنَّهُ لَا يَغْدُو أَنْ يَكُونَ صُورَةً مَرْسُومَةً عَلَى الوَرَقِ
لِلطَّرِيقِ ، وَلَيْسَتْ هِيَ الطَّرِيقَ نَفْسَهُ .

وَشَتَّانَ بَيْنَ مَنْ يَرَسُمُ الطَّرِيقَ عَلَى الوَرَقِ وَبَيْنَ مَنْ
يَمْشِيهِ سَيْرًا عَلَى الأَقْدَامِ .

إِذْ نَ تَعَالَ نَقَطَعَ الطَّرِيقَ مَعًا بِاسْمِ اللَّهِ وَعَلَى
بَرَكَتِهِ ...

وَطَرِيقُنَا - أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ الْأَحِبَّةُ - يَتَأَلَّفُ مِنْ ثَلَاثِ
مَرَاجِلَ :

- مَرَحَلَةٌ مَا قَبْلَ الْحِصَّةِ ...
- وَفِيهَا يُكُونُ الإِعْدَادُ .
- وَمَرَحَلَةٌ الْحِصَّةِ ...
- وَفِيهَا يُكُونُ الإِضْغَاءُ .
- وَمَرَحَلَةٌ مَا بَعْدَ الْحِصَّةِ ...
- وَفِيهَا تُكُونُ الْمُذَاكِرَةُ .

* * *

أَوَّلًا : مَرْحَلَةٌ مَا قَبْلَ الْحِصَّةِ

« الإِعْدَادُ »

هَبْ أَنْكَ سَتُبَاشِرُ عَمَلَكَ الدَّرَاسِيِّ وَفَقَّ مَا رَسَمْنَاهُ
لَكَ آيَفَا ... فَإِنَّ عَلَيْكَ أَنْ تَنْظُرَ فِي بَرْنَامِجِ غَدِكَ ، وَأَنْ
تَشْرَعَ فِي إِعْدَادِ الدَّرُوسِ الَّتِي سَتُلْقِي عَلَيْكَ فِي صَبَاحِ
الْيَوْمِ التَّالِي .

قَدْ يُحِيلُ إِلَيْكَ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ أَنَّ هَذَا « الإِعْدَادُ »
أَمْرٌ لَا مُبَرَّرَ لَهُ ، وَأَنَّهُ تَرْفٌ مِنْ تَرْفِ الْمُرِيئِينَ ...

إِذْ مَا الْحَاجَةُ إِلَى إِعْدَادِ دَرَسٍ سَيَتَكَفَّلُ الْمُدْرِسُ
بِتَقْدِيمِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ وَمِنْ أَيْسَرِ سَبِيلٍ !؟ ...
وَالْمُرْتَبُونَ أَصْحَابُ الْخِبْرَةِ يَقُولُونَ لَكَ :

إِنَّ « إِعْدَادَ » الدَّرْسِ مِنْ قِبَلِ الطَّالِبِ هُوَ أَقْوَمُ
سَبِيلٌ لِمَنْ يَزُومُ (١) الدَّرَاسَةَ النَّافِعَةَ ...

(١) يروم : يريد .

فَمِنَ الْمُسْلِمِ بِهِ أَنَّهُ كُلَّمَا أزدَادَ مَا تَعْرِفُهُ عَن
دَرْسِكَ الْمُقْبِلِ ، أزدَادَتْ فَايْدُتَكَ مِنْهُ .

لِذَا يَتَحَتَّمُ عَلَيْكَ أَنْ تَقْرَأَ دَرْسَكَ قِرَاءَةً مُسْتَأْنِيَةً
وَاعِيَةً ؛ تَقْفُكَ عَلَى حَقَائِقِهِ ...

وَتَلْفُتَكَ إِلَى مُشْكَلاتِهِ ...

وَتُمْكِّنُكَ مِنْ أَنْ تُحَدِّدَ عَلَى وَجْهِ الدَّقَّةِ :

مَا فَهَمَّتُهُ مِنْهُ ...

وَمَا لَمْ تَفْهَمُ ...

وَمَا أَنْتَ مُتَرَدِّدٌ فِي فَهْمِهِ ...

وَمِنْ ثَمَّ دَوْنُ فِي دَفْتَرِ تَحْضِيرِكَ مَا يَعْنُ (١) لَكَ
مِنْ مَلاحِظَاتٍ عَلَيْهِ ، وَمَا تَوَدُّ أَنْ تَطْرَحَهُ مِنْ أَسْئَلَةٍ
حَوْلَهُ ...

إِنَّ هَذِهِ الْأَسْئَلَةَ وَالْمَلاحِظَاتِ سَتَكُونُ غَدًا خَيْرَ
مِعْوَانٍ (٢) لَكَ عَلَى الْفَهْمِ وَالِاسْتِيعَابِ .

(٢) معوان : كثير العون .

(١) ما يعن : ما يظهر .

إِنَّ غَيْرَكَ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يُعِدُّوا ذُرُوسَهُمْ سَيَأْتُونَ فِي
الْيَوْمِ التَّالِي حَاوِينَ خَالِينَ، بَيْنَمَا تَأْتِي أَنْتَ مُثْقَلًا
بِالْأَسْئَلَةِ ...

« وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ سُؤَالٌ كَانَ لَهُ هَدَفٌ » كَمَا
يَقُولُونَ .

إِنَّ بَعْضَ الطُّلَّابِ سَيُلْقِي خِلَالَ الْحِصَّةِ أَسْئَلَةً تَنُمُّ
عَلَى جَهْلِ فَاضِحٍ قَدْ يَحْمِلُ كَثِيرًا مِنَ الْمُدْرَسِينَ عَلَى
الإشْمِغَزَارِ، مِمَّا يَجْعَلُ الطَّالِبَ السَّائِلَ يَشْعُرُ بِالْخَجَلِ
فَلَا يَسْأَلُ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا .

إِنَّ إِعْدَادَ الدَّرْسِ ؛ يَجْعَلُكَ قَادِرًا عَلَى تَمْيِيزِ الْأَهَمِّ
مِنَ الْمُهْمِّ ...

وَالْأَسَاسِيِّ مِنَ الثَّانَوِيِّ فِي مَوْضُوعِكَ ...
وَيُمْكِّنُكَ مِنْ طَرَحِ الْأَسْئَلَةِ النَّافِعَةِ الَّتِي تَسْجُحُ
نَحْوَ الصِّمِيمِ ...

وَتُبِيحُ لَكَ فُرْصَةَ إِغْنَاءِ الْجَوَابِ الضَّعِيفَةِ فِي
الْمَوْضُوعِ .

إِنَّكَ إِذَا أَعَدَدْتَ دَرْسَ الْغَدِ ... حَوَّلْتَ وَقْتَ
الْحِصَّةِ إِلَى مَجَالٍ لِلْمُنَاقَشَةِ وَالْوَعْيِ ، وَارْتَفَعْتَ بِنَفْسِكَ
إِلَى قِمَّةِ الْإِسْتِفَادَةِ ...

بَيْنَمَا يَتَعَثَّرُ رِفَاقُكَ فِي فَهْمِ الْبَدَهِيَّاتِ .

إِنَّ «إِعْدَادَ» الْحِصَّةِ يُتِيحُ لِلطَّالِبِ فُرْصَةَ الظُّهُورِ
بَيْنَ رِفَاقِهِ ، وَيُمْكِّنُهُ مِنَ التَّأْثِيرِ فِي دَرْسِهِ وَمُدْرَسِهِ ...
وَبِذَلِكَ تَعْدُو الْحِصَّةُ الَّتِي يَجِدُهَا غَيْرُهُ أَطْوَلَ مِنْ
لَيْلِ الْمَهْمُومِينَ نُرْزَهَةً مُمْتِعَةً عِنْدَهُ .

كَانَ مَعَنَا طَالِبٌ فِي كُليَّةِ الْآدَابِ يُعِدُّ دُرُوسَهُ عَلَيَّ
أَكْمَلَ وَجْهِ وَأَحْسَنِهِ ...

وَكَانَتْ أَسْئَلَتُهُ الْوَاعِيَةَ وَمُلَاحَظَاتُهُ الْقِيَمَةَ ، كَثِيرًا
مَا تُسَيِّطِرُ عَلَيَّ الْحِصَّةِ ، وَتَقْوُدُ خُطَاَهَا .

تَغَيَّبَ هَذَا الطَّالِبُ ذَاتَ يَوْمٍ عَنِّي إِحْدَى حِصَصِ
النُّصُوصِ الْأَدَبِيَّةِ ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ لَقِيَهُ الْأُسْتَاذُ ؛ فَحَيَّاهُ
وَسَأَلَهُ عَن سَبَبِ غِيَابِهِ ...

وَفِي تَوَاضُعِ الْعُلَمَاءِ قَالَ الْأُسْتَاذُ لَهُ :

« أَرْجُو أَلَّا نَفْتَقِدَكَ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ ... »

قَدْ لَا يَكُونُ فِي غِيَابِكَ خَسَارَةٌ تَقَعُ عَلَيْكَ ، وَلَكِنَّ
الْخَسَارَةَ تَقَعُ عَلَى رِفَاقِكَ حِينَ تَغِيبُ .

وَلَمْ يَبْلُغِ الطَّالِبُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ إِلَّا لِأَنَّه كَانَ يُعِدُّ
دُرُوسَ الْيَوْمِ التَّالِي .

* * *

ثَانِيًا : مَرَحَلَةُ الْحِصَّةِ

« الإِضْغَاءُ »

وَالآنَ إِذَا أَنْتَ « أَعَدَدْتَ » دَرَسَكَ أَيُّهَا الطَّالِبُ
فَلَا عَلَيْكَ إِذَا اسْتَقْبَلْتَ يَوْمَكَ الْجَدِيدَ بِإِثْسَامَةِ الثِّقَةِ
وَالْفَخْرِ بِمَا أَنْجَزْتَ ...

لِأَنَّكَ حَضَرْتَ الْحِصَّةَ وَلَدَيْكَ أَهْدَافٌ .

أَمَّا الْآخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا مِنْ غَيْرِ هَدَفٍ ...

فَإِذَا مَا بَلَغْتَ الْمَرَحَلَةَ الثَّانِيَةَ مِنْ مَرَاكِجِ الْعَمَلِيَّةِ
التَّعْلِيمِيَّةِ ، وَدَخَلْتَ غُرْفَةَ الدَّرْسِ وَأَخَذْتَ مَكَانَكَ فِيهَا ،
فَخَيْرُ مَا يُوصِيكَ بِهِ الْمَرْتَبُونَ هُوَ أَنْ تَكُونَ مُصْغِيًا جَيِّدًا
الإِضْغَاءِ ...

وَهُمْ يُرِيدُونَ بِالِإِضْغَاءِ شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ الإِسْتِمَاعِ .

فَالِاسْتِمَاعُ يَتِمُّ بِإِطْلَاقِ حَاسَةِ السَّمْعِ لِاسْتِقْبَالِ مَا يُقَالُ ؛ دُونَ أَنْ تَبْدُلَ مَجْهُودًا ذَا بَالٍ فِي وَعْيٍ هَذَا الَّذِي تَسْمَعُ .

أَمَّا الإِصْغَاءُ فَهُوَ : أَنْ تَسْمَعَ سَمَاعًا إِرَادِيًّا مَضْحُوبًا بِالْوَعْيِ وَالِإِنْتِبَاهِ ؛ بِحَيْثُ لَا تَسْمَعُ لِتَدَاعِي الْمَعَانِي أَنْ يَعْزِلَكَ عَنِ الدَّرْسِ وَالْمُدْرَسِ .

وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يُقَوِّمَ إِصْغَاءَهُ ، وَيَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ فِي هَذَا الْمَجَالِ الْحَيَوِيِّ مِنْ مَجَالَاتِ الدَّرَاسَةِ ، فَالْمُرَبُّونَ يَقُولُونَ لَهُ :

• إِنَّ الْمُصْغِيَّ الْجَيِّدَ هُوَ : الَّذِي يَسْبِقُ الْمُدْرَسَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ ، فَيَقِفُ عِنْدَ مُفْتَرَقَاتِ طُرُقِ الْحَدِيثِ ؛ لِيَسْأَلَ نَفْسَهُ أَيُّسُّهُ مَدْرَسِيٌّ إِلَى هُنَا أَمْ إِلَى هُنَاكَ .

• إِنَّهُ ذَلِكَ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْفِكْرَةِ الْأَسَاسِيَّةِ وَالْفِكْرَةِ الثَّانَوِيَّةِ ، وَيُنْفِقُ الزَّمَانَ الَّذِي يُخَصِّصُهُ الْمُدْرَسُ لِلْأَفْكَارِ الثَّانَوِيَّةِ فِي تَوْكِيزِ الْأَفْكَارِ الْأَسَاسِيَّةِ .

• إِنَّ الْمُضْغِيَّ الْجَيِّدَ هُوَ: الَّذِي يَكُونُ فِي أَسْئَلَةٍ
دَائِمَةٍ مَعَ نَفْسِهِ، وَفِي تَرَقُّبٍ مُسْتَمِرٍّ لِمَا يُعْطِيهِ أُسْتَاذُهُ
مِنْ إِجَابَاتٍ عَنِ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ .

وَلِيُعْطِيَ إِضْعَاؤُكَ ثَمَرَتَهُ الْمَرْجُوءَةَ، وَلِتُفِيدَ مِنْ
جُهِدِكَ الَّذِي بَدَلْتَهُ فِي إِعْدَادِ الْحِصَّةِ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ
عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ ... لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَسْتَضْحِبَ مَعَكَ دَفْتَرَ
تَحْضِيرِكَ، وَأَنْ تَضَعَهُ عَلَى مِنْضَدِكَ مَفْتُوحًا عَلَى
مَوْضِعِ التَّحْضِيرِ، وَذَلِكَ لِغَرَضَيْنِ اثْنَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: تَتَّبِعُ الْأَسْئَلَةَ وَالْمُلَاحَظَاتِ الَّتِي أُسْفَرَ
عَنْهَا التَّحْضِيرُ؛ لِتُشِيرَ إِلَى مَا أُجِيبَ عَنْهُ، وَتُدَوِّنَ
الإِجَابَةَ بِإِزَائِهِ ...

وَلِتَسْأَلَ عَمَّا لَمْ يُجِبْ عَنْهُ .

وَتَانِيهِمَا: إِثْبَاتُ أَهْمِّ مَا وَرَدَ فِي الْحِصَّةِ مِنْ
تَعْرِيفَاتٍ، وَمُصْطَلَحَاتٍ، وَأَفْكَارٍ أُسَاسِيَّةٍ، وَمُلَاحَظَاتٍ
ذَاتِ بَالٍ .

عَلَىٰ أَلَا يَحُولَ ذَلِكَ دُونَكَ وَدُونَ الْإِضْغَاءِ
الْوَاعِي ...

وَعَلَىٰ أَنْ يَتِمَّ تَسْجِيلُ الْمَلَاخِطَاتِ بِعِبَارَتِكَ
الْحَاصَّةِ ، لَا بِعِبَارَةِ الْمُدْرَسِ .

ثُمَّ إِنَّ هُنَاكَ أُمُورًا أُخْرَى تَتَعَلَّقُ بِالْحِصَّةِ قَدْ تَبَدُّو
لَكَ قَلِيلَةَ الْأَهْمِيَّةِ ؛ وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ ... مِنْهَا :

• أَنْ تَدْخُلَ إِلَى قَاعَةِ الدَّرْسِ قَبْلَ الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ
لِتَطْمَئِنَّ فِي مَكَانِكَ ، وَتَأْخُذَ أَهْبَتَكَ لِلتَّلْقِي .

• وَأَنْ تَسْتَشْعِرَ وَأَنْتَ تَدْخُلُ هَذَا الْمَكَانَ
الْجَلِيلَ ؛ فَضَلَ اللَّهُ وَنِعْمَتُهُ عَلَيْكَ ... إِذْ أَتَاكَ لَكَ مَا لَمْ
يُنْحَ لِلْكَثِيرِ مِنْ أَمْثَالِكَ .

• وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مِنْ حَقِّ النُّعْمَةِ أَنْ تُشْكِرَ ، وَأَنْ
شُكْرَهَا لَا يَتِمُّ إِلَّا إِذَا اسْتُعْمِلْتَ فِيهَا خُلِقْتَ لَهُ .

• وَأَنْ تُدْرِكَ أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ يَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنِ
الْأَمَاكِنِ الْأُخْرَى مِنْ حَيْثُ حُرْمَتُهُ ، وَعَايَاتُهُ ، وَطَرِيقَةُ
السُّلُوكِ فِيهِ .

وَأَجِيرًا، فَتَحْنُ لَا نُرِيدُ أَنْ نَتْرُكَ هَذِهِ الْمَرْحَلَةَ قَبْلَ
أَنْ نُوصِيكَ بِالْحِرْصِ الْبَالِغِ عَلَى أَلَّا تَفُوتَكَ أَيُّ حِصَّةٍ
مَهُمَا كَانَتِ الْأَسْبَابُ ...

لِأَنَّ دُرُوسَكَ سِلْسِلَةٌ مُتَّصِلَةٌ الْحَلَقَاتِ، وَأَنَّ
انْفِصَامَ^(١) أَيُّ حَلَقَةٍ مِنْهَا قَدْ يُؤَدِّي إِلَى ضَيَاعِ السِّلْسِلَةِ
كُلِّهَا.

* * *

(١) الانقسام: الانقطاع.

ثَالِثًا : مَرَحَلَةٌ مَا بَعْدَ الْحِصَّةِ « الْمُذَاكِرَةُ »

هَا نَحْنُ أَوْلَاءِ قَدْ قَطَعْنَا مَعَكَ - أَيُّهَا الطَّالِبُ
النَّجِيبُ - مَرَحَلَتَيْنِ مِنْ مَرَاكِجِ الْعَمَلِيَّةِ التَّعْلِيمِيَّةِ ، هُمَا :
مَرَحَلَةٌ مَا قَبْلَ الْحِصَّةِ ، وَكَبَانَ قِيَامُهَا
« الإِعْدَادُ » .

وَمَرَحَلَةٌ الْحِصَّةِ ، وَكَانَ عِمَادُهَا « الإِضْغَاءُ » .
فَلَنَسْتَقِلُّ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ إِلَى الْمَرَحَلَةِ الثَّالِثَةِ مَرَحَلَةِ
مَا بَعْدَ الْحِصَّةِ ، وَقِيَامُهَا « الْمُذَاكِرَةُ » كَمَا أَشْرَحْنَا مِنْ
قَبْلُ ...

فَكَيْفَ نُذَاكِرُ ؟؟ .

أَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّ لِكُلِّ مِنْكُمْ طَرِيقَتَهُ فِي
الْمُذَاكِرَةِ ... وَأَنَّهَا عَادَتْ عَلَيْهِ يَبْغِضُ الْفَوَائِدَ .

لَكِنَّ الْمُرَبِّينَ فِي الْجَامِعَاتِ الْعَرِيقَةِ أَعَدُّوا
لِطُلَّابِهِمْ حُطَّةً مُحْكَمَةً ... وَهُمْ يُقَدِّمُونَهَا لَكَ بَعْدَ أَنْ
وَضَعُوهَا مَوْضِعَ التَّجْرِبَةِ، وَرَضُّوا نَتَائِجَهَا فَثَبَّتَ لَهُمْ
نَجَاحَهَا الْبَاهِرُ، وَجَنَى طُلَّابُهُمْ مِنْهَا أَيْبَعُ (١) الشَّمَرَاتِ .
وَخُطَّتُهُمْ هَذِهِ تَتَأَلَّفُ مِنْ خَمْسِ خُطُوتٍ هِيَ :
التَّصْفُّحُ ، وَالسُّؤَالُ ، وَالْقِرَاءَةُ ، وَالِاسْتِظْهَارُ ،
وَالْمُرَاجَعَةُ .

وَسَأَعِمِدُ إِلَى تَكَرُّرِهَا لِتَرْسَخَ فِي ذَهْنِكَ أَهْيَا
الْقَارِئُ الْكَرِيمُ ، إِنَّهَا : التَّصْفُّحُ ، وَالسُّؤَالُ ، وَالْقِرَاءَةُ ،
وَالِاسْتِظْهَارُ ، وَالْمُرَاجَعَةُ .

وَأَرْجُو أَنْ تُعِيدَهَا أَنْتَ لِتَتِمَّكَنَ مِنْ نَفْسِكَ فَضَّلَ
تَمَكَّنَ .

وَإِلَيْكَ الْآنَ بَيَانًا مُفَصَّلًا لِكُلِّ خُطْوَةٍ مِنْ هَذِهِ
الْخُطُوتِ الْخَمْسِ ...

(١) أَيْبَعُ الشَّمَرَاتِ : أَنْضَجَهَا .

١ - خُطوةُ التَّصْفُحِ

أَمَّا التَّصْفُحُ، فَيُرَادُ مِنْهُ أَنْ تَحْصُلَ عَلَى صُورَةٍ
وَاضِحَةٍ لِلْمَوْضُوعِ الَّذِي تُقْبِلُ عَلَى دِرَاسَتِهِ، وَذَلِكَ قَبْلَ
مُبَاشَرَةِ الدَّرَاسَةِ وَالإِغَالِ (١) فِيهَا.

إِنَّ هَذَا التَّصْفُحَ أَشْبَهُ مَا يَكُونُ بِالنَّظَرَةِ الْفَاحِصَةِ
الَّتِي يُلقِيهَا الْمُهَنْدِسُ عَلَى الْأَرْضِ؛ لِيَرَى مَا فِيهَا مِنْ
سُهُولٍ، وَجِبَالٍ، وَوُدْيَانٍ، وَبُحَيْرَاتٍ، وَغَابَاتٍ ... قَبْلَ
أَنْ يَعْمِدَ إِلَى سَقِّ طَرِيقٍ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَتَعْبِيدِهِ.

تَصْفُحُ الْكِتَابِ الَّذِي سَتَدْرُسُهُ فِي أَوَّلِ جُلُوسَةٍ،
وَانتَقِلْ فِي عَمَلِيَّةِ التَّصْفُحِ هَذِهِ ...

- مِنْ الْكُلِّ إِلَى الْجُزْءِ.
- وَمِنْ الْجُزْءِ إِلَى الْجُزْئِيِّ.

(١) الإِغَالُ فِيهَا: التَّعَمُّقُ فِيهَا.

وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّ جُحُودَكَ السَّابِقَةَ الَّتِي بَدَلْتَهَا
فِي مَرَحَلَةِ الإِعْدَادِ ، سَتُوفِّرُ عَلَيْكَ كَثِيرًا مِنَ الْوَقْتِ
وَالجُهْدِ الآنَ .

وَبَعْدُ ، فَهَبْ أَنَّكَ تَنَاوَلْتَ كِتَابَ « الْبَلَاغَةِ »
الْمُقَرَّرَ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْعَامِ ، فَتَصَفَّحَهُ كُلَّهُ ...
أَدْرِكَ مُحْتَوَيَاتِهِ ...

وَسَتَخْرُجُ مِنْهَا - مَثَلًا - بِأَنَّهُ كِتَابٌ مُخَصَّصٌ لِعِلْمِ
الْبَيَانِ ، وَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ مِنْ قَضَايَا هَذَا الْعِلْمِ التَّشْبِيهِ ،
وَالِاسْتِعَارَةَ ، وَالْمَجَازَ الْمُرْسَلَ ، وَالْكِتَابِيَّةَ ...

وَمَا يُقَالُ عَنْ كِتَابِ « الْبَلَاغَةِ » يُقَالُ عَنْ كُتُبِ
الرِّيَاضِيَّاتِ ، وَالْفِيزِيَاءِ ، وَالْكِيمِيَاءِ ، وَغَيْرِهَا ...

إِنَّ مُقَدِّمَاتِ هَذِهِ الْكُتُبِ أَوْ فَهَارِسَهَا كَثِيرًا
مَا تُعِينُكَ عَلَى هَذَا التَّصَفُّحِ الإِجْمَالِيِّ ... غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ
لَا يَكْفِي إِذْ لَا بُدَّ لَكَ مِنَ التَّصَفُّحِ الْجُزْئِيِّ لِكُلِّ
مَبْحَثٍ .

وَسَتَجِدُ فِي فَهَارِسِ الْكِتَابِ مَا يُلَبِّي حَاجَتَكَ هَذِهِ .

فَاقْرَأِ الْفَهْرَسَ بِبَطْنِ شَدِيدٍ، وَتَفَكِيرٍ، وَوَعْيٍ،
حَتَّى تَقِفَ عَلَى مُخْتَوِيَاتِ الْكِتَابِ كُلِّهَا.

وَلَا تَنْسَ وَأَنْتَ تَتَصَفَّحُ الْكِتَابَ أَنْ تَقْرَأَ عَنَاوِينَهُ
كُلِّهَا، وَخُلَاصَاتِهِ جَمِيعَهَا إِنْ كَانَتْ لَهُ خُلَاصَاتٌ.

وَأَنْ تَنْظُرَ إِلَى خَرَائِطِهِ وَمُصَوِّرَاتِهِ إِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ
مِنْ ذَلِكَ ... وَعَلَيْكَ أَنْ تُكْرِرَ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ
فِي الْعَامِ.

فَإِذَا تَمَّ لَكَ تَصَفُّحُ الْكِتَابِ، وَكَوْنَتْ عَنْهُ صُورَةٌ
وَاضِحَةٌ فِي ذَهْنِكَ ... انْتَقِلْ آتِئِدًا إِلَى تَصَفُّحِ الْمَبْحَثِ
الَّذِي تَوَدُّ دِرَاسَتَهُ، وَأَوَّلِهِ مِنْ وَعْيِكَ وَعِنَايَتِكَ أَكْثَرَ مِمَّا
أَوْلَيْتَ الْكِتَابَ نَفْسَهُ ...

وَاسْتَعِنَ عَلَى ذَلِكَ بِالْعَنَاوِينِ الرَّئِيسِيَّةِ، وَالثَّانَوِيَّةِ،
وَالهَامِشِيَّةِ ...

وَلَا يَغْرُبُ عَنْ بَالِكَ أَبَدًا أَنَّ الْمُؤَلِّفِينَ يَبْذُلُونَ
قُصَارَى جُهُودِهِمْ لِتَكُونَ هَذِهِ الْعَنَاوِينُ دَقِيقَةً مُعَبَّرَةً عَمَّا
تَحْتَهَا.

وَسَوْفَ تَجِدُ مِنْ تَجْرِبَتِكَ - بَعْدَ قِرَاءَةِ الْفَصْلِ -
أَنَّ أَفْضَلَ كَلِمَةٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُوجِزَ بِهَا فِكْرَتَهُ الْعَامَّةَ ؛ هِيَ
ذَلِكَ الْعُنْوَانُ الَّذِي وَضَعَهُ الْمُؤَلِّفُ بَيْنَ يَدَيْكَ .

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الطُّلَّابِ يُهْمَلُونَ هَذِهِ الْعَنَاوِينَ .

إِنَّ مِثْلَهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ مَنْ يَمْشِي فِي طَرِيقِ
مُظْلِمٍ ، فَإِذَا أَضَاءَ لَهُ أَحَدُهُمْ بَعْضَ الْمَصَابِيحِ أَدَارَ ظَهْرَهُ
لِلنُّورِ ، وَأَنْطَلَقَ يَتَخَبَّطُ فِي عَمَائِيَّتِهِ (١) .

وَالآنَ بَعْدَ أَنْ تَصَفَّحْتَ كِتَابَكَ ؛ فَأَلَمَمْتَ

بِمُحْتَوَيَاتِهِ إِلْمَامًا إِجْمَالِيًّا ...

وَبَعْدَ أَنْ تَصَفَّحْتَ مَبْحَثَكَ ؛ فَوَقَفْتَ عَلَى

جُزْئِيَّاتِهِ ، انْتَقِلْ وَأَنْتَ مُطْمَئِنٌّ إِلَى الْخُطْوَةِ الثَّانِيَةِ ...

* * *

(١) عَمَائِيَّتُهُ : ظُلُمَاتُهُ .

٢ - خُطْوَةُ الْأَسْئَلَةِ

لِلْوُقُوفِ عَلَى أَثَرِ الْأَسْئَلَةِ فِي الْحَيَاةِ التَّعْلِيمِيَّةِ
بِعَامَّةٍ؛ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ أَهَمَّ مَا حَصَلَ عَلَيْهِ
الْإِنْسَانُ مِنْ مَعَارِفَ كَانَ أَجْوَبَةً عَنْ أَسْئَلَةٍ طَرَحَهَا عَلَى
نَفْسِهِ، أَوْ عَلَى غَيْرِهِ، أَوْ عَلَى الْحَيَاةِ.

وَأَنَّ النَّاسَ كُلَّ النَّاسِ، أَشَدُّ تَذَكُّرًا لِمَا تَلَقَّوهُ
جَوَابًا عَنْ سُؤَالٍ مِمَّا أَخَذُوهُ عَنْ طَرِيقِ الْقِرَاءَةِ
وَالْحِفْظِ ...

ذَلِكَ لِأَنَّ عَمَلِيَّةَ طَرْحِ الْأَسْئَلَةِ؛ تَحْمِلُ عَلَى
التَّفْكِيرِ الْجَادِّ، وَتَجْعَلُ الْأُمُورَ وَاضِحَةً فِي
الدَّهْنِ حَيَّةً فِي الْفِكْرِ.

وَلَعَلَّ أَهَمَّ مَا فِي السُّؤَالِ، أَنَّهُ يُحَدِّدُ لِلْمُتَعَلِّمِ
هَدَفًا ... وَمِنْ هُنَا نُكْرِرُ عَلَى مَسْمَعِكَ مَا قِيلَ:

« مَنْ كَانَ لَدَيْهِ سُؤَالٌ كَانَ عِنْدَهُ هَدَفٌ » .

وَلِبَيَانِ ذَلِكَ أَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ - أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ -
إِنَّكَ حِينَ وَقَفْتَ عَلَى عُنْوَانِ هَذَا الْبَحْثِ وَهَمَمْتَ
بِدِرَاسَتِهِ ، فَإِمَّا أَنْ تُقْبَلَ عَلَيْهِ وَأَنْتَ خَالِي الذَّهْنِ مُتَرَقِّبٌ
لِمَا سَيُقَالُ لَكَ ...

وَإِمَّا أَنْ تُقْبَلَ عَلَيْهِ وَأَنْتَ مُثْقَلٌ بِالْأَسْئَلَةِ الَّتِي تَتَنَظَّرُ
مِنَ الْمُؤَلِّفِ أَنْ يُجِيبَكَ عَنْهَا ، وَذَلِكَ كَأَنْ تَقُولَ فِي
نَفْسِكَ :

- مَا فَنُّ الدِّرَاسَةِ هَذَا ؟ .

- وَمَا الْعِلَاقَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَنِّ الْقِرَاءَةِ ؟ .

- هَلِ الدِّرَاسَةُ شَيْءٌ وَالْقِرَاءَةُ شَيْءٌ آخَرُ ؟ .

- ثُمَّ مَا الْعِلَاقَةُ بَيْنَ فَنِّ الدِّرَاسَةِ وَفَنِّ إِعْدَادِ

الْبُحُوثِ ؟ .

- أَهَذِهِ الْفُنُونُ حَلَقَاتٌ فِي سِلْسِلَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ أَمْ إِنَّهَا

أُمُورٌ مُتَدَاخِلٌ بَعْضُهَا فِي بَعْضِهَا الْآخَرِ ؟ .

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْئَلَةِ ؛ وَالَّتِي يُوجِي إِلَيْكَ بِهَا

إِمْعَانِ النَّظْرِ فِي الْعُنْوَانِ وَحَدَهُ .

وَحُطْوَةُ الْأَسْئَلَةِ هَذِهِ ، لَا تَأْتِي بَعْدَ حُطْوَةِ
التَّصْفِحِ كَمَا يَتَّبَادِرُ إِلَى الذَّهْنِ مِنْ مَفْهُومِ الحُطْوَاتِ ،
وَإِنَّمَا تَبْدَأُ مَعَهَا ، وَتَسْتَمِرُّ إِلَى نِهَائِهِ الْمَذَاكِرَةِ ...
ذَلِكَ لِأَنَّ طَرَحَ الْأَسْئَلَةِ إِنَّمَا هُوَ لُبُّ التَّعْلِيمِ ،
وَمُخُّ الدِّرَاسَةِ كَمَا أَشْرْنَا مِنْ قَبْلُ .

هَبْ أَنْكَ عَزَمْتَ عَلَى دِرَاسَةِ مَبْحَثِ « الْكِنَايَةِ »
- مَثَلًا - وَشَرَعْتَ تَخْطُو حُطْوَةَ التَّصْفِحِ ؛ فَبَادِرْ إِلَى
طَرَحِ الْأَسْئَلَةِ عَلَى نَفْسِكَ ...
سَلِّهَا قَائِلًا :

- مَا مَعْنَى « الْكِنَايَةِ » فِي اللُّغَةِ ، وَمَا مَعْنَاهَا فِي
الإِضْطِلَاحِ ؟ .

- ثُمَّ مَا الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ وَالْمَعْنَى
الإِضْطِلَاحِيِّ ؟ .

- وَهَلِ « الْكِنَايَةُ » مِنَ الْحَقِيقَةِ أَمْ مِنَ الْمَجَازِ ؟ .

- وَإِذَا كَانَتْ مِنَ الْمَجَازِ، فَمَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
«الِاسْتِعَارَةِ» الَّتِي دَرَسْنَاهَا مِنْ قَبْلُ؟ .

- ثُمَّ مَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ «الْكِنَايَةِ» وَ«الرَّمْزِ» فِي
الْأَدَبِ الْحَدِيثِ؟ .

وَكُلَّمَا حَصَلَتْ عَلَى جَوَابِ رَكْزِهِ فِي ذِهْنِكَ
أَوْ فِي دَفْتَرِكَ أَوْ فِي كِلَيْهِمَا مَعًا، وَحَاوِلْ أَنْ تَسْتَنْبِطَ مِنْهُ
سُؤَالَ آخَرَ وَأَنْ تَلْتَمِسَ جَوَابَهُ، وَسَتَجِدُ أَنَّ الْأَسْئَلَةَ
سَوْفَ تَنْهَالُ عَلَيْكَ ...

وَأَنَّكَ كُلَّمَا أَجَبْتَ عَنْ سُؤَالٍ دَفَعَكَ ذَلِكَ نَحْوَ
سُؤَالٍ جَدِيدٍ .

وَهُنَا لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ وَضْعَ الْأَسْئَلَةِ
لَيْسَ بِالْأَمْرِ السَّهْلِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَمَلٌ يَحْتَاجُ إِلَى دُرْبَةٍ (١)
وَوَقْتٍ وَجُهْدٍ ... لَكِنَّ ثَمَرَاتِهِ الْوَفِيرَةَ الْيَانِعَةَ؛ تَجْعَلُ
كُلَّ مَا يُنْفَقُ فِي سَبِيلِهِ هَيِّئًا .

(١) دُرْبَةٌ: تَدْرِيْبٌ وَتَجْرِبَةٌ .

وَلَا كِتْسَابٍ مَهَارَةَ وَضَعِ الْأَسْئَلَةَ ، عَلَيْنَا أَنْ نُفِيدَ
مِنَ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي يُذَيِّلُ بِهَا بَعْضُ الْمُؤَلِّفِينَ فُصُولَ
كُتُبِهِمْ ...

وَأَنْ نَعْلَمَ أَنَّ الْمُؤَلِّفِينَ النَّاجِحِينَ الَّذِينَ يُعِدُّونَ
الْكَتَبَ لِلطُّلَّابِ فِي مَرَاجِلِ التَّعْلِيمِ جَمِيعِهَا ؛ يَعْتَبِرُونَ
وَضَعِ الْأَسْئَلَةَ مِنْ لُبَابِ عَمَلِهِمْ ، وَيُؤَلِّفُونَ هَذَا الْأَمْرَ الْهَامَّ
الشَّيْءَ الْكَثِيرَ مِنْ حَصَافَتِهِمْ ^(١) ، وَخِبْرَتِهِمْ ، وَحِذْقِهِمْ .

إِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَقْرَأَ أَسْئَلَةَ الْمُؤَلِّفِ - إِذَا وَجَدْتِ -
قَبْلَ قِرَاءَةِ الْمَبْحَثِ وَبَعْدَهَا ...

وَأَنْ تَتَذَكَّرَ عَلَى الدَّوَامِ أَنَّ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَهُ سُؤَالٌ
يَكُونُ عِنْدَهُ هَدَفٌ .

* * *

(١) الحصافة : رجاحة العقل ، وإحكام الرأي .

٣ - خُطْوَةُ الْقِرَاءَةِ

وَالآنَ بَعْدَ أَنْ تَصَفَّحْتَ مَبْحَثَكَ الَّذِي تَدْرُسُهُ ،
وَأَثَرْتَ حَوْلَهُ مِنَ الْأَسْئَلَةِ مَا أَثَرْتَ ... تَعَالِ نَحْطُ
الْخُطْوَةَ الثَّلَاثَةَ مِنْ خُطُواتِ الدِّرَاسَةِ أَلَا وَهِيَ : خُطْوَةُ
الْقِرَاءَةِ .

إِنَّ جُلَّ الطُّلَّابِ يَجْعَلُونَ الْقِرَاءَةَ أَوْلَى خُطُواتِهِمْ
بَلْ وَأَخِيرَهَا أَيْضًا ...

ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ الْمَذَاكِرَةَ لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ
جَوْلَةً تَقُومُ بِهَا الْعَيْنَانِ بَيْنَ سَطُورِ الْكِتَابِ .

وَلَكِنِّي تُؤْتِي هَذِهِ الْخُطْوَةَ ثِمَارَهَا لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ
نَضْعَ نُصَبَ عَيْونِنَا وَنَحْنُ نَقْرَأُ أَنَّنَا إِنَّمَا نَقْرَأُ :

لِنَفْهَمَ ، وَنُنَاقِشَ ، وَنُرَكِّزَ ، وَنُلَخِّصَ ، وَنُطَبِّقَ .

وَلَا يَتِيمٌ لَنَا ذَلِكَ إِلَّا إِذَا حَرَضْنَا - خِلَالَ الْقِرَاءَةِ -
عَلَى أَنْ نُجِيبَ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي وَجَّهْتَاهَا لِأَنْفُسِنَا عِنْدَ
التَّصْفُحِ ، وَالَّتِي سَنُوجِّهُهَا إِلَيْهَا فِي أَثْنَاءِ الْقِرَاءَةِ ، وَالَّتِي
وَجَّهْتَاهَا إِلَيْنَا الْمُؤَلَّفُ فِي نَهَايَةِ الْمَبْحَثِ .

وَلَا بُدَّ لَنَا عِنْدَ الْمُنْذَاكِرَةِ مِنْ أَنْ نُذْرِكَ إِذْرَاكًا
وَاعِيًا أَنَّ النَّصَّ الْمَقْرُوءَ يَتَكَوَّنُ مِنْ ثَلَاثَةِ عُنَاصِرٍ ، هِيَ :

• أَفْكَارٌ أُسَاسِيَّةٌ ...

• وَإِضَاحَاتٌ هَامَّةٌ أُتِيَتْ بِهَا لِدَعْمِ هَذِهِ
الْأَفْكَارِ ...

• وَأُمُورٌ ثَانَوِيَّةٌ تَعِيشُ عَلَى هَامِشِ الْمَوْضُوعِ .
وَأَنْ نَأْخُذَ أَنْفُسَنَا بِالْيَقِظَةِ الدَّائِمَةِ ؛ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ
هَذِهِ الْعُنَاصِرِ الثَّلَاثَةِ ...

لِنُؤَلِّيَ الْعُنْصَرَ الْأَوَّلَ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْإِهْتِمَامِ
وَالتَّرْكِيزِ ...

وَلِنَجْعَلَ الْعُنْصَرَ الثَّانِيَّ فِي خِدْمَةِ الْأَوَّلِ ...

وَلَكِنِّي لَا نُعْطِي الْعُنْصَرَ الثَّلَاثَ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ
مِنَ الْإِهْتِمَامِ .

وَلِزِيَادَةِ إِبْطَاحِ مَوْضُوعِ الْأَفْكَارِ الْأَسَاسِيَّةِ هَذِهِ ،
يَحْسُنُ بِنَا أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ كُلَّ نَصِّ نَدْرُسُهُ يَضُمُّ هَرَمًا
مِنَ الْأَفْكَارِ ...

- قَاعِدَتُهُ الْأَفْكَارُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي تُشْتَمِلُ عَلَيْهَا
الْفِقْرُ ...

- وِذْرَوْتُهُ الْفِكْرَةُ الرَّئِيسِيَّةُ الْعَامَّةُ الَّتِي تُدْعَى بِأَمِّ
الْفَضْلِ ...

- وَيَيْنَ الْقَاعِدَةِ وَالْقِمَّةِ ، تَتَرَبَّعُ أَفْكَارُ هِيَ دُونَ
الْفِكْرَةِ الرَّئِيسِيَّةِ تَعْمِيمًا ، وَأَعْلَى مِنْ أَفْكَارِ الْفِقْرِ
وَأَشْمَلُ .

وَلَا سْتِيْعَابِ الْأَفْكَارِ الرَّئِيسِيَّةِ وَحُسْنِ الرَّبْطِ بَيْنَهَا ،
لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نُرَكِّزَ كُلَّ فِكْرَةٍ أَسَاسِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ
مُوجِزَةٍ ، وَأَنْ نُثَبِّتَهَا بِإِزَائِهَا عَلَى الْهَامِشِ ...

وَلَا بُدَّ لَنَا أَيْضًا مِنَ الْإِسْتِعَانَةِ بِوَضْعِ الْخُطُوطِ فِي
مَتْنِ الْكِتَابِ .

إِنَّ وَضْعَ هَذِهِ الْخُطُوطِ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ لِكُلِّ قِرَاءَةٍ
تَاجِجَةٍ شَرِيطَةً أَنْ تُوضَعَ فِي مَوَاضِعِهَا ، لِأَنَّ الَّذِينَ
يَضْعُونَ هَذِهِ الْخُطُوطَ كَيْفَمَا اتَّفَقَ ؛ يُعْزِرُونَ بَأَنْفُسِهِمْ
تَعْرِيرًا لَا يَشْعُرُونَ بِآثَارِهِ الْمُخْزِنَةِ إِلَّا فِي سَاعَةِ
الِامْتِحَانِ .

وَالْمُرْتَبُونَ الَّذِينَ يُلْحُونَ عَلَى الطُّلَّابِ بِوَضْعِ
الْخُطُوطِ ؛ يُحَدِّثُونَهُمْ مِنْ أَنْ يَتَعَجَّلُوا فِي وَضْعِهَا ،
وَيَنْصَحُونَهُمْ بِالْأَلَا يَضْعُوهَا إِبَّانَ الْقِرَاءَةِ الْأُولَى ... وَإِنَّمَا
يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ خِلَالَ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ أَنْ يَكْتَفُوا بِوَضْعِ
إِشَارَاتٍ خَفِيفَةٍ عَلَى هَامِشِ الْكِتَابِ بِمُحَادَاةِ الشُّطُورِ
الَّتِي يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا ذَاتُ أَهْمِيَّةٍ ...

فَإِذَا مَا أَعَادُوا قِرَاءَةَ النَّصِّ ثَانِيَةً ، أَصْبَحَ فِي وَسْعِهِمْ
أَنْ يَضْعُوا هَذِهِ الْخُطُوطَ تَحْتَ الْأَفْكَارِ الرَّئِيسِيَّةِ ،

والتفصيلات الهامة ، والكلمات الفنية ، والمصطلحات
العلمية .

ولكن حذارٍ من الإكثار من تلك الخطوط ...
فإن الإكثار منها يُفقدُها أهميتها ، ويُبطلُ مفعولها ،
ويُشوِّشُ الكتابَ على الدارس .

وإذا كان كتابك مما تكثرُ فيه التَّقسيّماتُ
والتفريعاتُ ؛ فلا بُدَّ لك من ضبط ذلك بالترقيم ، وذلك
بأن تستعمل للتقسيم الأكبر :

أولاً ، وثانياً ، وثالثاً ...

وللتقسيم الذي يليه الأرقام : ١ ، ٢ ، ٣ .

وللتقسيم الذي يليه - إذا وُجدَ - الحروف

الأبجدية : أ ، ب ، ج ، د ...

أو أيّ إشاراتٍ أُخرى تنظّم لك عقد ما تفرّق ،

وتعينك على المتابعة والربط .

ثم إن المرّين جميعاً يوصونك بأن تقرأ في

حماسة ، وأن تقرأ كلَّ شيء .

اقْرَأِ الْعُنْوَانَ الرَّئِيسِيَّ لِلْمَبْحَثِ ، وَالْعَنَاوِينَ
الْجُزْئِيَّةَ ، وَالْعَنَاوِينَ الْهَامِشِيَّةَ ...

اقْرَأِ الْهُوَامِشَ ، وَالْحَوَاشِيَّ ، وَالتَّعْلِيقاتِ ...

اقْرَأِ الْبَيِّنَاتِ وَتَمَلَّ مِنْ الْمُصَوِّرَاتِ ؛ فَرُبَّ صُورَةٍ
وَاحِدَةٍ تُسَاوِي أَلْفَ كَلِمَةٍ .

لَا تُغَادِرْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً دُونَ قِرَاءَةٍ ؛ فَإِنَّ هَذَا
الَّذِي كُتِبَ لَمْ يُكْتَبَ عَبَثًا وَإِنَّمَا كُتِبَ لِعَرَضٍ ...
وَكُتِبَ لَكَ وَمِنْ أَجْلِكَ .

وَالْمُرْتَبُونَ حِينَ يَتَفَقَّهُونَ عَلَى دَعْوَتِكَ إِلَى قِرَاءَةِ كُلِّ
شَيْءٍ ... وَيَحْضُونَكَ عَلَى دِرَاسَةِ مَبْحَثِكَ كُلِّهِ فِقْرَةً بَعْدَ
فِقْرَةٍ ، وَأَلَّا تَنْتَقِلَ مِنْ نُقْطَةٍ إِلَى أُخْرَى قَبْلَ أَنْ تَقْضَاهَا بَحْثًا
وَوَعْيًا ...

يَخْتَلِفُونَ اخْتِلَافًا كَبِيرًا فِي قَضِيَّةِ الْعَقَبَاتِ الْكُبْرَى
الَّتِي تَقِفُ فِي طَرِيقِكَ ، وَتَحُولُ دُونَكَ وَدُونَ
الْإِنْطِلَاقِ ؛ فَيَقُولُ لَكَ بَعْضُهُمْ :

اجئتم أمام كل عقبة، ولا تُغادرها قبل تذليلها...
اضرب عليها حصاراً من عقلك وحزبك
وانتباهك، فسرعان ما تتهاز حُصونها تحت وقع
ضرباتك.

إن مذاكرة مبحث من المباحث شديدة الشبه
باختلال قطر من الأقطار... فإذا ترك الجيش المحتل
وراءه قلعة هنا وحصنا هناك من غير إخضاع؛ فسرعان
ما يجد خلفه قوة تهدد مؤخرته.

ثم لا يلبث أن يكتشف أن عليه فتح الأرض من
جديد.

أما بعضهم الآخر فيتجه غير هذا الاتجاه فيقول:
حقاً إنه لا بُد من مواجهة العقبات واجدة بعد
أخرى شريطة ألا نكون حُمقى في ثباتنا هذا.

فقد يكون هناك طريق يدور حول العقبة أسلم
وأضمن للوصول...

وَلَقَدْ أَيَّدَ هَذَا الرَّأْيَ أَحَدُ الدَّارِسِينَ المُمَارِسِينَ
الكِبَارِ فَقَالَ :

« أَمَا الثَّقَةُ فَقَدْ كَانَتْ لَدَيَّ ، وَكُنْتُ أَمْضِي إِلَى
غَايَتِي بِحَزْمٍ وَإِقْدَامٍ ...

غَيْرَ أَنِّي كَثِيرًا مَا وَقَفْتُ فِي وَجْهِي سُدُودٌ مَنِيعَةٌ ،
لَكِنِّي كُنْتُ أَجِدُ بَعْدَ مُدَّةٍ وَرَاءَ السُّدِّ التُّورَ الَّذِي كُنْتُ
أَتَطَلَّبُ أَنْ أَجِدَهُ أَمَامَهُ ...

كُنْتُ إِذَا يَبَسْتُ مِنْ تَدْلِيلِ عَقَبَةٍ مُتَعَصِّبَةٍ تَرَكْتُهَا
وَمَضَيْتُ ، حَتَّى إِذَا خَلَفْتُهَا وَرَائِي ؛ اِكْتَشَفْتُ الْمُفْجِرَ
الَّذِي يَنْسِفُهَا .

وَنَحْنُ نَقُولُ لَكَ - أَيُّهَا الطَّالِبُ الجَادُّ - :

إِذَا وَاجَهْتِكَ فِي دِرَاسَتِكَ مِثْلُ هَذِهِ العَقَبَاتِ ،
فَأَيَّاكَ أَنْ تُعَايِدَ عِنَادَ قَائِدِ عَسْكَرِي يُفْنِي قُوَاتِهِ فِي هُجُومٍ
مُجَابِهِ فَتَكْثُرُ ضَحَايَاهُ ، وَيَدْفَعُ ثَمَنَ نَصْرِهِ - إِذَا انْتَصَرَ -
غَالِيًا .

وَلَكِنْ إِيَّاكَ أَنْ تَقْلِبَ الصَّفْحَةَ كُلَّمَا عَنَّتْ (١)
لَكَ صُعُوبَةٌ ...

بَلِ احْزِمِ أَمْرَكَ ، وَحَارِبْهَا بِالظُّفْرِ وَالنَّابِ قَبْلَ أَنْ
تُعْلِنَ عَجْزَكَ عَنْهَا ، وَتَتَخَطَّأَهَا إِلَى غَيْرِهَا .

فَإِذَا مَا قَرَأْتَ دَرَسَكَ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ الْجَادَّةُ الْوَاعِيَةُ ؛
فَاعْمِدْ إِلَى دَفْتَرِ مُلْحَصَاتِكَ واقِطِفْ ثَمَرَةَ أَنْعَابِكَ ،
وَوَسِّحْهُ بِمُلْخَصِ تَرْكُزٍ فِيهِ حَصِيلَةُ قِرَاءَتِكَ مِنَ الْأَفْكَارِ
الْأَسَاسِيَّةِ وَالتَّفْصِيْلَاتِ الْهَامَّةِ ، عَلَى وَجْهِ يَتَجَلَّى فِيهِ
حُسْنُ فَهْمِكَ ...

وَتَبَرُّزُ مِنْ خِلَالِهِ قُدْرَتُكَ عَلَى حَذْفِ
الْفُضُولِ (٢) ...

وَالْتَّمِيْزِ بَيْنَ الزَّبْدِ الَّذِي يَذْهَبُ جُفَاءً (٣) ، وَاللَّائِي
الَّتِي تَنْفَعُ النَّاسَ فَتَمُكُّ فِي الْأَرْضِ (٤) .

* * *

(١) عننت : ظهرت .

(٢) الفضول : ما يمكن الاستغناء عنه .

(٣) يذهب جفاءً : هدرًا لا نفع فيه .

(٤) انظر كتاب « فن القراءة » للمؤلف .

٤ - خُطْوَةُ الْإِسْتِظْهَارِ

وَالآنَ بَعْدَ أَنْ خَطَوْتَ خُطْوَاتِكَ الثَّلَاثَ ...

- فَتَصَفَّحْتَ مَبْحَثَكَ الَّذِي تَدْرُسُهُ ...

- ثُمَّ أَثَرْتَ حَوْلَهُ مَا أَثَرْتَ مِنْ أَسْئَلَةٍ ...

- ثُمَّ قَرَأْتَهُ تِلْكَ الْقِرَاءَةَ الْجَادَّةَ الْوَاعِيَةَ ...

كَمْ يُؤْلِمُكَ وَيَحُزُّ فِي نَفْسِكَ إِذَا اكْتَشَفْتَ أَنَّكَ
بَعْدَ هَذَا الْجُهْدِ الْجَاهِدِ لَا تَتَذَكَّرُ كُلَّ مَا قَرَأْتَهُ .

وَلِكَيْ لَا تَقَعَ فِي هَذِهِ الْخَيْبَةِ ، أُخْطُ خُطْوَاتَكَ
الرَّابِعَةَ : خُطْوَةَ الْإِسْتِظْهَارِ ...

وَنَحْنُ لَا نَعْنِي بِالْإِسْتِظْهَارِ : أَنْ تَحْفَظَ مَا قَرَأْتَهُ
عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ ...

وَإِنَّمَا نَعْنِي بِهِ : أَنْ تَغْدُوَ قَادِرًا عَلَى تَمَثِيلِ

أَفْكَارِهِ الرَّئِيسِيَّةِ، وَتَفْصِيْلَاتِهِ الْهَامَّةِ، وَالتَّعْبِيرِ عَنْهَا
بِأَسْلُوبِكَ الْخَاصِّ.

وَيَتِمُّ لَكَ ذَلِكَ بِالْوُقُوفِ فِي نِهَائِيَّةِ كُلِّ فِقْرَةٍ وَبَيْنَ
كُلِّ عُنْوَانٍ وَعُنْوَانٍ؛ لِتَرْكِيزِ مَا قَرَأْتَهُ فِي ذَهْنِكَ،
وَتَسْمِيْعِهِ لِتَنْفْسِكَ.

وَهُنَا لَا بُدَّ لَكَ وَأَنْتَ تَقُومُ بِعَمَلِيَّةِ التَّسْمِيْعِ الذَّاتِيِّ
مِنْ أَنْ تُحَدِّدَ عَلَى وَجْهِ الدَّقَّةِ:

مَا وَعَيْتُهُ، وَمَا أَهْمَلْتُهُ، وَمَا أَخْطَأْتُ فِيهِ ...

وَذَلِكَ لِتَعْمَلِ عَلَى:

- تَثْبِيْتِ مَا وَعَيْتُهُ ...

- وَاسْتِذْرَاكِ مَا أَهْمَلْتُهُ ...

- وَتَصْحِيْحِ مَا أَخْطَأْتُ فِيهِ.

ضَعُ نُصْبَ عَيْنَيْكَ وَأَنْتَ تُذَاكِرُ أَنَّ سَيْفَ النَّسِيَانِ
مُضِلَّتْ^(١) عَلَى مَا تَدْرُسُهُ ...

(١) مُضِلَّتْ: مشهر ومنتصب.

وَلِلتَّعَلُّبِ عَلَى هَذِهِ الآفَةِ الْخَطِيرَةِ - آفَةِ النَّسِيَانِ -
وَلِمُكَافَحَةِ عَمَلِهَا التَّخْرِيبِيِّ النَّشِيطِ ، لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَخْطُوَ
الْحُطْوَةَ الْخَامِسَةَ وَالْأَخِيرَةَ ...

حُطْوَةَ الْمُرَاجَعَةِ .

* * *

٥ - خُطْوَةٌ الْمُرَاجَعَةِ

كَأَنِّي أَسْمَعُ قَائِلًا يَقُولُ :

وَهَلْ يَحْتَاجُ الْأَمْرُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى مُرَاجَعَةٍ .

وَالْمُرْتَبُونَ يَقُولُونَ :

مَا دَامَتْ هُنَاكَ آفَةٌ تَدْعِي آفَةَ النَّسِيَانِ ، فَلَا بُدَّ مِنْ
الْمُرَاجَعَةِ حَتَّى نَصُدَّ عُذْوَانَهَا عَلَيْنَا ، وَحَتَّى نَحْتَفِظَ
لِأَنْفُسِنَا بِمَا حَقَّقْنَاهُ مِنْ مَكَاسِبٍ ؛ بَدَلْنَا فِي سَبِيلِ
الْحُصُولِ عَلَيْهَا نُورَ الْعَيْنِ ، وَسَهَرَ اللَّيْلِ ، وَأَجْمَلَ
سَاعَاتِ الْعُمْرِ .

وَمَا دَامَتْ الْمُرَاجَعَةُ أَمْرًا لَا مَنْدُوحَةً (١) عَنْهُ ...

فَمَتَى نُرَاجِعُ ، وَكَيْفَ نُرَاجِعُ ؟ .

(١) لا مندوحة عنه : لا مفر منه .

إِنَّ أَغْلَبَ الطُّلَّابِ يُرْجِعُونَ الْمُرَاجَعَةَ إِلَى مَا قَبْلَ
الِامْتِحَانِ ، وَلِهَذَا نَقُولُ :

إِنَّ هَذَا أَفْضَلُ وَقْتٍ لِأَخِرِ مُرَاجَعَةٍ ، وَلَكِنْ لَا لِأَوَّلِ
مُرَاجَعَةٍ .

إِنَّ خَيْرَ وَقْتٍ لِلْمُرَاجَعَةِ ، هُوَ ذَلِكَ الْوَقْتُ الَّذِي
يَقَعُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ دِرَاسَةِ بَابٍ كَامِلٍ مِنْ أَبْوَابِ
الْكِتَابِ ، أَوْ مَبْحَثٍ شَامِلٍ مِنْ مَبَاحِثِهِ .

أَمَّا كَيْفَ تُرَاجَعُ ؟ ...

فَالْمُرَبُّونَ يَقُولُونَ لَكَ :

إِنَّ الْمُرَاجَعَةَ هِيَ جِمَاعُ الْخُطُوبِ الْأَرْبَعِ السَّابِقَةِ
كُلِّهَا ... فَلَا بُدَّ مِنْ :

التَّصْفِحَ ، وَالْأَسْئَلَةَ ، وَالْقِرَاءَةَ ، وَالِاسْتِظْهَارَ .

وَلَكِنَّ هَذِهِ الْخُطُوبَ تَتِمُّ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ مِنْ قَبْلِ
إِنْسَانٍ دَرَسَ الْمَبْحَثَ كُلَّهُ وَوَعَاَهُ ...

وَمَا زَ (١) أَفْكَارُهُ الرَّئِيسِيَّةَ مِنْ أَفْكَارِهِ الثَّانَوِيَّةِ ...
وَفِي كِتَابِ امْتِلَآتِ هَوَامِشُهُ بِالْكَلِمَاتِ الْمُرَكَّزَةِ
الَّتِي تُقَيِّدُ أَفْكَارَهُ ...

وَأَزْدَانَ مَثْنُهُ بِالْخُطُوبِ الْوَاضِحَةِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى
أَهْمِ مَا فِيهِ ...

وَوُصِمَتْ تَقْسِيمَاتُهُ بِالْأَرْقَامِ وَالْحُرُوفِ الَّتِي تُعِينُ
عَلَى مُتَابَعَتِهِ .

إِنَّ هَذِهِ الْمُرَاجَعَةَ الْأُولَى لَا تَسْتَنْفِدُ مِنْ وَقْتِكَ
وَجُهْدِكَ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ ...

لِأَنَّكَ لَا تَزَالُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِدِرَاسَةِ الْمَبْحَثِ ،
وَلِأَنَّ آفَةَ النَّسِيَانِ لَمْ تَعْمَلْ عَمَلَهَا بَعْدُ .

إِنَّ مِنْ شَأْنِ هَذِهِ الْمُرَاجَعَةِ ، أَنْ تَجْعَلَكَ تُشْرِفُ
عَلَى الْمَبْحَثِ وَهُوَ كُلُّ كَبِيرٍ ، بَعْدَ أَنْ وَقَفْتَ عَلَيْهِ
مُجَزَّأً ...

(١) مَازَ : مَيَّزَ وَفَرَقَ .

وَأَنْ تُمَكِّنَكَ مِنَ الرَّبْطِ بَيْنَ أَجْزَائِهِ الْمُخْتَلِفَةِ ،
 وَتُقَدِّرَكَ عَلَى تَمَثُّلِ الرُّوحِ الَّتِي تَسْرِي بَيْنَ أَعْطَافِهِ (١) ...
 وَذَلِكَ بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّكَ سَوْفَ تُعِيدُ اسْتِظْهَارَ
 مَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِظْهَارٍ ، وَتَمَكِّنَ مَا يَحْتَاجُ إِلَى تَمَكِينٍ .
 هَذَا ، وَإِنَّ مِنَ الْمُفِيدِ أَنْ تَقُومَ بَعْدَ هَذِهِ الْمُرَاجَعَةِ
 بِمُرَاجَعَةِ أُخْرَى قَبْلَ مُرَاجَعَةِ الإِمْتِحَانِ (٢) ... فَذَلِكَ مِنْ
 شَأْنِهِ أَنْ يُبْقِيَ الْمَعْلُومَاتِ حَيَّةً فِي ذِهْنِكَ ، وَأَنْ يَهَبَكَ
 الْقُدْرَةَ عَلَى مُتَابَعَةِ الطَّرِيقِ .

إِنَّ الْمُرْتَبِينَ الَّذِينَ رَسَمُوا لَكَ هَذِهِ الْخُطُوبَاتِ
 الْخَمْسَ ، يَسْرُّهُمْ أَنْ يَقُولُوا لَكَ :

إِنَّ الْآلَافَ مِنْ طُلَّابِهِمْ اسْتَطَاعُوا بِوَسَاطَةِ هَذِهِ
 الْخُطُوبَاتِ ؛ أَنْ يَزْتَفِعُوا بِمُسْتَوَاهُمْ الْعِلْمِيِّ إِلَى حَدِّ
 أَذْهَشِهِمْ ، وَفَاقَ جَمِيعَ مَا كَانُوا يُقَدَّرُونَ وَيَتَصَوَّرُونَ ،
 وَذَلِكَ بِالإِضَافَةِ إِلَى مَا نَعَمُوا بِهِ مِنْ طَمَآنِينَةٍ فِي حَيَاتِهِمْ

(١) بين أعطافه : بين جوانبه وجوانحه .

(٢) انظر كتاب « فن الامتحانات » للمؤلف .

الدَّرَاسِيَّةَ ، وَرَاحَةَ فِي صِحَّتِهِمُ النَّفْسِيَّةَ ، وَاقْتِصَادِ فِي
وَقْتِهِمُ الثَّمِينِ .

وَهُمْ يَسْرُهُمْ أَنْ يَقُولُوا لَكَ - أَيْضًا - :

إِنَّ بِاسْتِطَاعَتِكَ أَنْ تَتَحَقَّقَ مِنْ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ ؛ إِذَا
أَنْتَ طَبَّقْتَ هَذِهِ الْخُطُوبَ بِدَقَّةٍ وَحَزْمٍ .

* * *

الْبَاعِثُ وَالْحَافِزُ لِلدِّرَاسَةِ

وَبَعْدُ ... فَإِنَّ خَيْرَ الْمَعْلُومَاتِ وَأَشَدَّهَا رُسُوخًا فِي
النَّفْسِ ؛ تِلْكَ الَّتِي يَنَالُهَا الْمَرْءُ نَتِيجَةً لِتَجَارِيهِ
الشَّخْصِيَّةِ ...

لِهَذَا يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ دَأْبَهُ فِي رِبْطِ تَقَافِيهِ
النَّظَرِيَّةِ بِحَيَاتِهِ اليَوْمِيَّةِ وَتَجَارِيهِ الشَّخْصِيَّةِ ، حَتَّى تَتِمَّ كُنْ
هَذِهِ الْمَعْلُومَاتُ مِنْ نَفْسِهِ ...

وَتَخْرُجُ مِنْ سَاحَةِ الْكِتَابِ إِلَى وَقَعِ الْحَيَاةِ الَّتِي
يَحْيَاهَا .

عَلَى أَنْ هُنَاكَ شَرْطًا أَسَاسِيًّا لِلدِّرَاسَةِ الصَّالِحَةِ
تَتَضَاعَلُ أَمَامَهُ كُلُّ النَّصَائِحِ الَّتِي يُسَدِّدُ بِهَا الْمُرْتَبُونَ ...
ذَلِكَ الشَّرْطُ الْأَسَاسِيُّ :

هُوَ وُجُودُ الْبَاعِثِ وَالْحَافِزِ ...

هُوَ الرَّغْبَةُ الْعَارِمَةُ فِي التَّعَلُّمِ وَالْإِنْجَازِ ...

هُوَ الْإِهْتِمَامُ بِالشُّؤْنِ الْعَقْلِيَّةِ ...

هُوَ الشَّوْقُ إِلَى الْعَمَلِ الْمَدْرَسِيِّ .

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَعَلَّمَ كَيْفَ تَدْرُسُ فَأَنْشِئْ فِي
نَفْسِكَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ؛ شُعُورًا بِأَنَّكَ تَرْغَبُ فِي أَنْ
تَتَمَكَّنَ مِنْ دُرُوسِكَ ، وَأَنَّكَ لَا بُدَّ سَتَتَمَكَّنُ مِنْهَا ...

وَلَنْ يَتِمَّ لَكَ ذَلِكَ ؛ إِلَّا إِذَا كَوَّنْتَ لِنَفْسِكَ أَهْدَافًا
مُحَدَّدَةً ، وَمُثَلًّا عَلَيَا تَقْوُودُكَ إِلَيْهَا دِرَاسَاتِكَ ...

وَالْإِلَّا إِذَا أَدْرَكْتَ إِذْرَاكَ وَاضِحًا عَوَاقِبَ الْعَمَلِ
الْمُهْمَلِ ، وَمُكَافَاتِ الْعَمَلِ الْجَادِّ ...

وَالْإِلَّا إِذَا تَصَوَّرْتَ الرَّاحَةَ الَّتِي تُعْقِبُ النَّجَاحَ ،
وَالْحَيَبَةَ الَّتِي تُعْقِبُ الْإِخْفَاقَ .

قَدْ يَقُولُ وَاحِدٌ مِنَ الطُّلَابِ : أَنَا لَا أُحِبُّ دَرَسَ
الرِّيَاضِيَّاتِ ، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُحِبَّهُ .

وَقَدْ يَجِدُ آخَرَ فِي دَرَسِ التَّارِيخِ بَحْثًا عَنِ الرَّمَمِ
الْبَالِيَةِ ، لَا يُطِيقُ عَلَيْهِ صَبْرًا .

وَقَدْ يَرَى ثَالِثٌ فِي دَرَسِ الْقَوَاعِدِ مِنَ الْجَفَافِ
مَا يُنْفَرُهُ مِنْهُ ، وَيَجْعَلُ مِنْ بَدَهِيَّاتِهِ الَّتِي يَعْرِفُهَا الصَّغَارُ ؛
مُعْضَلَاتٍ كُبْرَى لَا يَسْتَوْعِبُهَا عَقْلُهُ .

فَعَلَى هَؤُلَاءِ النَّافِرِينَ مِنْ بَعْضِ الْمَوَادِّ ، وَالَّذِينَ
يُرِيدُونَ أَنْ يُثِيرُوا فِي أَنْفُسِهِمُ الشُّوقَ إِلَيْهَا وَالْحَافِزَ إِلَى
تَعَلُّمِهَا ؛ أَنْ يَعْمِدُوا إِلَى الْبَوَاعِثِ الَّتِي تُسَاعِدُهُمْ عَلَى
ذَلِكَ ... وَفِي مُقَدِّمَةِ هَذِهِ الْبَوَاعِثِ :

جَمْعُ أَكْبَرَ قَدْرٍ مُمَكِّنٍ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ عَنِ
الْمَوْضُوعِ الَّذِي نُرِيدُ أَنْ نُضْرِمَ فِي أَنْفُسِنَا نَارَ الشُّوقِ
إِلَيْهِ ...

ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَرْءَ يَجِدُ مُتَعَةً كَبِيرَةً فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي
يَعْرِفُ عَنْهَا مَعْلُومَاتٍ أَكْثَرَ .

فَإِذَا عَرَفْتَ كَيْفَ كَانَ أَجْدَادُكَ الْعَرَبُ يَنْطِقُونَ
نُطْقًا سَلِيمًا دُونَ مَا قَوَاعِدَ ...

وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ فُشُوَّ اللَّحْنِ (١) بَعْدَ اخْتِلَاطِ
 الْأَعْجَامِ بِالْعَرَبِ ؛ هُوَ الَّذِي دَعَا إِلَى إِيجَادِ عِلْمِ النَّحْوِ ...
 وَإِذَا أَلَمَّتْ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي سَلَكَهَا وَاضِعُو هَذَا
 الْعِلْمِ وَالْجُهْدِ الَّذِي بَدَلُوهُ حَتَّى قَدَّمُوهُ إِلَيْكَ ، وَإِذَا
 حَفِظْتَ أَسْمَاءَ بَعْضِ الْأَعْلَامِ مِنْ رِجَالِ هَذِهِ الْمَادَّةِ ،
 وَأَطَّلَعْتَ عَلَى طَرَفٍ مِنْ تَارِيخِ حَيَاتِهِمْ ...

وَإِذَا أَدْرَكْتَ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَوَائِدَ الْعَمَلِيَّةَ الَّتِي يُمَكِّنُ
 أَنْ تُحَقِّقَهَا فِيمَا لَوْ أَخَذْتَ نَصِيحَتِكَ مِنْهُ .

نَعَمْ إِذَا تَحَقَّقَ لَكَ ذَلِكَ كُلُّهُ ؛ زَالَتِ الْحَوَاجِزُ
 الَّتِي ضَرَبَهَا الْوَهْمُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ هَذِهِ الْمَادَّةِ ، وَتَبَدَّلَتْ
 نَظْرَتُكَ إِلَيْهَا ... وَانْقَلَبَتِ الْعَدَاوَةُ بَيْنَكُمَا إِلَى صَدَاقَةٍ ،
 أَوْ مَا يُشْبِهُ الصَّدَاقَةَ .

هَذَا هُوَ الْبَاعِثُ الْأَوَّلُ عَلَى إِيقَادِ شَرَارَةِ الشُّوقِ فِي
 نَفْسِكَ إِلَى تَعَلُّمِ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ .

(١) فُشُوَّ اللَّحْنِ : انتشار الخطأ ، والجهل بقواعد علم النحو .

أَمَّا الْبَاعِثُ الثَّانِي :

فَيَكُونُ فِي رُبْطِ الْمَعْلُومَاتِ الْجَدِيدَةِ بِمَعَارِفِكَ
الْقَدِيمَةِ، وَاِكْتِشَافِ الْعَلَائِقِ (١) الَّتِي قَدْ تُوجَدُ بَيْنَ
الْوَقَائِعِ الْحَاضِرَةِ، وَمَا سَبَقَ لَكَ أَنْ وَعَيْتَهُ مِنْ
الْمَعَارِفِ .

فَالْأَحْدَاثُ التَّارِيخِيَّةُ الْمَيِّتَةُ، قَدْ تُبْعَثُ حَيَّةً مِنْ
مَرْقِدِهَا ... عِنْدَمَا تَنْظُرُ إِلَيْهَا مِنْ زَاوِيَةِ الْقَضَايَا
الْحَاضِرَةِ ...

وَدَّرُوسُ الْكِيمِيَاءِ وَالْفِيزِيَاءِ ؛ تَعْدُو شَائِقَةً (٢) مُمْتَعَةً
عِنْدَمَا تَرْبِطُهَا بِحَيَاتِكَ اليَوْمِيَّةِ .

أَمَّا الْبَاعِثُ الثَّالِثُ مِنْ بَوَاعِثِ هَذَا الشُّوقِ :

فَهُوَ وُقُوفُكَ مِنْ الْمَوْضُوعِ الَّذِي تَدْرُسُهُ مَوْقِفًا
إِيجَابِيًّا فَعَالًا ...

(١) العلائق : العلاقات التي تصل الأشياء بعضها ببعض .
(٢) تَعْدُو شَائِقَةً : تصبح حسنة جميلة ، تشتاق النفس إليها .

وَذَلِكَ بِاسْتِعْمَالِ مَعَارِفِكَ الْجَدِيدَةِ وَإِثَارَةِ الْأَسْئَلَةِ
حَوْلَهَا ... وَالتَّكَهُنِ بِالْإِجَابَاتِ الصَّحِيحَةِ عَلَيْهَا،
وَالْتَحَقُّقِ مِنْ مَدَى صِحَّةِ هَذِهِ الْإِجَابَاتِ ...
وَبِحُثِّ الْمَسَائِلِ الَّتِي تَحْتَمِلُ الْخِلَافَ مَعَ رِفَاقِ
صَفِّكَ، وَجَعْلِ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ تَلْعَبُ دَوْرًا فِي
نَشَاطِكَ .

فَإِذَا تَوَافَرَتْ لَدَيْكَ الرَّغْبَةُ فِي تَعَلُّمِ مَادَّةٍ مَا،
وَأَوْقَدَتْ شَرَارَةَ الشُّوقِ فِي ذَاتِكَ إِلَيْهَا ... حَقَّقْتَ
لِنَفْسِكَ لَذَّةً كُبْرَى، وَلَمْ يَعِدِ الْجُهْدُ الَّذِي تَبْذُلُهُ لِإِثْقَانِ
هَذِهِ الْمَادَّةِ عَمَلًا مُضْنِيًّا، وَإِنَّمَا عَدَا مُتْعَةً وَلَذَّةً .

يَبْدَأُ أَنْ بَعْضَ الْمَوْضُوعَاتِ تَبْقَى غَيْرَ شَائِقَةٍ لَدَى
بَعْضِ الطُّلَّابِ ؛ مَهْمَا حَاوَلُوا أَنْ يُشِيرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
عَوَامِلَ الشُّوقِ إِلَيْهَا، وَالرَّغْبَةَ فِي تَعَلُّمِهَا .

وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتُ بِالْعَةِ الْأَهْمِيَّةِ إِلَى
حَدِّ يَتَوَقَّفُ نَجَاحُ الطَّالِبِ عَلَى الْأَخْذِ بِطَرَفِ مِنْهَا،
عِنْدَ ذَلِكَ يَتَحَتَّمُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْ عَقْلِهِ، وَأَنْ يُقَدِّرَ

خُطُورَةٌ مَوْقِفِهِ، وَأَنْ يَشْحَذَ إِزَادَتَهُ لِتَذْلِيلِ الْمَوْضُوعِ
الْحَرُونَ وَتَرْوِيضِهِ .

وَلَنْ يَبْلُغَ الطَّالِبُ ذَلِكَ، إِلَّا إِذَا اتَّبَعَ بَعْضَ النَّصَائِحِ
الَّتِي تُسَاعِدُهُ عَلَى حَلِّ هَذِهِ الْمُعْضَلَةِ ...
وَفِي مُقَدِّمَةِ هَذِهِ النَّصَائِحِ :

أَنْ يَسْتَشْعِرَ الطَّالِبُ ضَرُورَةَ الْقِيَامِ بِالْمُهْمَّةِ الَّتِي
بَيْنَ يَدَيْهِ مَهْمًا بَدَتْ شَاقَّةً عَسِيرَةً ...

وَأَنْ يُوضِّحَ لِنَفْسِهِ الصَّلَةَ بَيْنَ نَجَاحِ مُهْمَتِهِ
الْحَالِيَّةِ، وَبَيْنَ تَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ الْكُبْرَى وَمَطَامِحِهِ
الْعُظْمَى ...

وَأَنْ يَضَعَ نُصْبَ عَيْنَيْهِ أَنْ إِخْفَافَهُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ
وَعَدَمَ تَعَلُّبِهِ عَلَى ضَعْفِهِ فِيهَا؛ سَوْفَ يُؤَدِّيانِ بِهِ إِلَى
ضِيَاعِ كُلِّ شَيْءٍ .

أَمَّا النَّصِيحَةُ الثَّانِيَةُ :

فَهِيَ أَنْ يُحَدِّدَ الطَّالِبُ مُهْمَتَهُ، وَأَنْ يُقَرِّرَ مَا يَجِبُ
عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَأَنْ يَبْدَأَ الْعَمَلَ ...

وَأَنْ يُحَوَّلَ انْتِبَاهُهُ عَنِ الْمَصَاعِبِ الْمَوْهُومَةِ ...

وَأَنْ يُهَيَّئَ لِنَفْسِهِ جَوًّا دِرَاسِيًّا صَالِحًا .

أَمَّا النَّصِيحَةُ الثَّلَاثَةُ :

فَهِي تَقُومُ عَلَى التَّرْكِيزِ ... ذَلِكَ أَنَّ سُرُودَ الدَّهْنِ
أَوَّلَ خُصُومِ الدَّرْسِ الْمُنْتَجِجِ ... وَأَنَّ سَاعَةً وَاحِدَةً مِنْ
الدَّرَاسَةِ الْمُرَكَّزَةِ ؛ لِأَفْضَلُ مِنْ عَشْرِ سَاعَاتٍ يُنْفِقُهَا
الطَّالِبُ فِي الدَّرَاسَةِ الْمُنْتَقِطَةِ بِأَحْلَامِ الْيَقَظَةِ .

عَلَى أَنَّ أَشَدَّ أَعْدَاءِ التَّرْكِيزِ خَطَرًا ؛ وَجُودُ بَعْضِ
الْمُشْكِلَاتِ الَّتِي يُعَانِيهَا الطُّلَّابُ ، وَسُحْبُ الْهُمُومِ الَّتِي
تَعْمُرُ نُفُوسَهُمْ الشَّابَّةَ ... فَتَضْرِفُهُمْ عَنِ الدَّرْسِ وَتَقْتُلُ
كَافَّةَ أَلْوَانِ النَّشَاطِ الْفَعَّالِ عِنْدَهُمْ .

وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْهُمُومُ مُنْبَعِثَةً عَنِ الْخَوْفِ مِنْ
الْإِخْفَاقِ ، أَوْ مُتَأَتِيَةً مِنَ الشُّعُورِ بِالْهَوَانِ الْاجْتِمَاعِيِّ ،
أَوْ نَاجِمَةً عَنِ الْهَوَاجِسِ الصَّحِيحَةِ وَالنَّرَوَاتِ الْعَاطِفِيَّةِ .

وَالطَّالِبُ النَّاجِحُ ، هُوَ الَّذِي يُوَاجِهُ مُشْكِلَاتِهِ فِي

شَجَاعَةٍ وَصِدْقٍ ، وَيَذْرُسُهَا مَعَ مَنْ يَثِقُ بِرَأْيِهِ وَحِكْمَتِهِ ،
وَيَضَعُ لَهَا الْحُلُولَ الصَّحِيحَةَ ، وَيُحَاذِرُ مِنْ خِدَاعِ نَفْسِهِ
بِمُجَانِبَتِهَا وَإِعْمَاضِ عَيْنَيْهِ عَنْهَا .

وَأَخِيرًا ، فَأَنَا أَوَدُّ أَنْ أَهْمِسَ فِي آذَانِ ابْنَائِي
الطُّلَابِ ثَلَاثَ هَمَسَاتٍ :

• أَوَّلُهَا : أَنَّهُمْ طَلِيعَةُ أُمَّتِهِمْ وَرُؤَادُهَا
الْمُؤْتَمِنُونَ ... وَأَنَّ ذَلِكَ يُلْقَى عَلَى عَوَاتِقِهِمْ كَثِيرًا
مِنَ الْأَعْبَاءِ ، وَيُتِيحُ لِكُلِّ مِنْهُمْ أَنْ يَلِيَ فِي نَبِيِّ قَوْمِهِ
مَكَانًا قِيَادِيًّا كَبِيرًا ...

غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْأَمَاكِنَ الْقِيَادِيَّةَ لَا تَفْتَحُ ذِرَاعَيْهَا
إِلَّا لِلْكَفِيِّ (١) الْمُتَفَوِّقِ .

• وَثَانِيهَا : أَنَّ اللَّهَ يَسِّرُ لَهُمْ مِنْ سُبُلِ الْعِلْمِ مَا لَمْ
يُسِّرْ لِسِوَاهُمْ ... وَهِيَ نِعْمَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ حَقِّهَا أَنْ
تُشَكَرَ ... وَشُكْرُهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِنُصْحِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ إِذَا

(١) الكفي : الكفاء النشط .

هُمْ زَوَّدُوهَا بِالْعِلْمِ ، وَسَلَّحُوهَا بِالْحَقِّ ...

وَبُنْصَحِهِمْ لِأُمَّتِهِمْ إِذَا هُمْ قَادُوهَا فِي ذُرُوبِ الْخَيْرِ
وَالْبِرِّ .

• وَثَالِثُ هَذِهِ الْهَمَسَاتِ : أَنْ يَنْظُرُوا - مِنْ حِينِ
إِلَى آخَرَ - إِلَى سَاعَاتِهِمْ ... وَأَنْ يَتَأَمَّلُوا مُؤَشَّرَ الدَّقِيقَةِ
الصَّغِيرِ وَهُوَ جَادٌّ فِي سَبْرِهِ الْحَيْثِ ، وَلِيَتَذَكَّرُوا أَنَّهُ فِي
كُلِّ دَوْرَةٍ يَدُورُهَا ؛ إِنَّمَا يَنْحُتُ قِطْعَةً مِنَ الْعُمْرِ .

وَأَنْذَاكَ يَحْسُنُ بِهِمْ أَنْ يُرَدِّدُوا قَوْلَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ
صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ :

(نِعْمَتَانِ مَغْبُوتٌ^(١) فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ :
الصَّحَّةُ ، وَالْفَرَاغُ) .

وَأَنْ يَسْأَلُوا اللَّهَ لِي وَلَهُمْ أَلَّا نَكُونَ مِنَ الْمَغْبُوتِينَ .

* * *

(١) الغبن : النقص أي فوات الخير والأجر .

مِن مَرَاجِعِ هَذَا الْمَوْضُوعِ

- فن القراءة والدرس ، تأليف « أ. و. ك » رسالة صغيرة من سلسلة علم النفس للملايين نشرتها دار العلم للملايين في بيروت .
- مرشد المتعلم ، « السير جون أدمز » أستاذ التربية في جامعة لندن - ترجمه محمد أحمد الغمراوي وطبعته دار الكتب المصرية عام ١٩٣٤ م .
- فن الدراسة ، تأليف « كليفورد مورغان » أستاذ علم النفس في جامعة جونز هوبكنس و« جميس ديز » المدرس في جامعة جونز هوبكنس ، وترجمة « فؤاد جميل » ومراجعة يوسف حوراني نشرته مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر بالاشتراك مع مكتبة الحياة في بيروت ١٩٦١ م .
- العالم بين دفتي كتاب ، لطائفة من المؤلفين جمعه « ألفريد استيفرود » وترجمته الدكتورة « سهير قلماوي » وطبعته مطبعة النهضة المصرية سنة ١٩٥٨ م .

● تيسير القراءة ، تأليف « بول ويتي » ، وترجمة « سامي ناشد »
وإشراف وتقديم عبد العزيز القوصي - مكتبة النهضة
المصرية .

● مقدمة سلسلة اقرأ ، للدكتور طه حسين .

● الوسائل والغايات ، أولد هكسلي ، ترجمة محمود محمود
من كتب سلسلة الفكر الحديث .

* * *

فهرس

٧	* مُقَدِّمَةٌ
١١	* الدِّرَاسَةُ طَرِيقُ التَّعَلُّمِ
١٩	* خُطَّةُ الدِّرَاسَةِ
٢٩	* الإِرْهَاقُ وَصِحَّةُ الطَّالِبِ
٣٣	* مَرَاجِلُ الدِّرَاسَةِ
٣٥	أَوَّلًا: مَرَحَلَةُ مَا قَبْلَ الحِصَّةِ «الإِعْدَادُ»
٤١	ثَانِيًا: مَرَحَلَةُ الحِصَّةِ «الإِضْعَاءُ»
٤٧	ثَالِثًا: مَرَحَلَةُ مَا بَعْدَ الحِصَّةِ «المُذَاكِرَةُ»
		وَتَتَأَلَّفُ مِنْ خَمْسِ خُطُوبَاتٍ
٤٩	١ - خُطُوبَةُ التَّصْفِيحِ
٥٣	٢ - خُطُوبَةُ الأَسْبِئَلَةِ
٥٩	٣ - خُطُوبَةُ القِرَاءَةِ
٦٩	٤ - خُطُوبَةُ الإِسْتِظْهَارِ
٧٣	٥ - خُطُوبَةُ المُرَاجَعَةِ
٧٩	* البَاعِثُ وَالحَافِزُ لِلدِّرَاسَةِ
٨٩	* مِنْ مَرَاجِعِ هَذَا المَوْضُوعِ

كتب للمؤلف

• فن الامتحانات بين الطالب والمُعلِّم

الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا .

للإمتحانات أهمية كبرى في مختلف المراحل التعليمية ، فما من أسرة إلا وفيها فرد أو أكثر يواجهون مشكلة الامتحانات كل عام . وهذا الكتاب يضع يدنا على المشكلة وحلولها ، فقد أوضح المؤلف - رحمه الله - للمُعلِّم مهمة الامتحانات وأنواعها ، ومكان ضعفها ، ومواضع صلاحها . كما وجه الطالب إلى الطريقة المثلى التي يعد بها العدة للإمتحانات ، بمختلف مراحلها الدراسية ... بدءاً بالاستعداد للإمتحانات ، والذي يعتمد على كيفية جني ثمار ما قد بذله الطالب من جهد خلال عامه الدراسي ، ومراجعتة لما دونه من ملاحظات في قاعة الدرس ، وما كتبه من ملخصات خلال العام . ومن ثم الاستعداد النفسي والترتيبات اللازم اتخاذها داخل قاعة الامتحان ، مروراً بأهمية استيعاب وفهم مصطلحات الأسئلة التي يستعملها المدرسون في وضع أسئلتهم . وانتهاءً بورقة الإجابة والعوامل المؤثرة في تقدير الدرجة ، مما يمهد الطريق للنجاح .

* * *

• حدث في رمضان .

الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا .

وقفات تاريخية بأسلوب قصصي ممتع ، رصدت بعض الأحداث التي وقعت في شهر رمضان المبارك ... ذلك الشهر الكريم الذي سعد فيه هذا الكوكب الأرضي بأعظم حادث وقع على ظهره ؛ فكان هذا الحادث فرقاناً في تاريخ البشرية كلها ، وإيداناً بمولد عالم جديد ... وشهد فيه العالم الإسلامي أياماً متنوعة ... منها الحزينة التي لا تذهب الأيام بمرارتها ... وأياماً أعز الله فيها المسلمين من هوان ، وقواهم من ضعف ، وأعلى في هذا الشهر الكريم رايات الإسلام ، ورفع في أيامه أعلام القرآن ... فحينذا رمضان ، وحينذا أيامه الغر الميامين .

* * *

• نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد .

الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا .

تقديم فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوي

هذا الكتاب سلاح لمقاومة ما تعرض له من غزو فكري ووجداني وحضاري ...
ودرع واقى يقف في وجه التيار الجارف للمذاهب الأدبية المنبثقة عن نظرة أصحابها إلى
الإنسان وما حوله ... لقد عرض المؤلف - رحمه الله - أهم المذاهب الأدبية وموقف
الإسلام منها، وموقف الإسلام من الأدب بعامة ومن الشعر بخاصة، والخصائص العامة لهذا
المذهب الأدبي الذي نسعى له . بتحليله العلمي الدقيق، ومعلوماته الموسوعية الشاملة التابعة
من الكتاب والسنة، وبأسلوبه الأدبي المميز . وقد خلص المؤلف - رحمه الله - إلى رسم
منهج لمذهب إسلامي في الأدب والنقد يُتَّسَرُّ لنا وضع المعايير والمقاييس؛ لمعرفة الغث من
الطيب .

* * *

• الطَّرِيقُ إِلَى الْأُنْدَلُسِ «مَخَاتٍ وَقَطُوفٍ»

الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا .

لم يكتمل قرن واحد من الزمان بعد هجرة النبي عليه الصلاة والسلام حتى أظلت
رايات الإسلام أصقاعاً شاسعة من هذه الدنيا، وكان منها الأندلس . ولم يكن الطريق إلى
الأندلس ممهداً ولا سهلاً ... فقد سلكه المسلمون بتخطيط واع، وإعداد جاد، وعمل
دءوب ... وبذلوا في سبيله النفس والنفس . لقد عرض المؤلف - رحمه الله - بأسلوبه
القصصي الشيق أهم معالم هذا الطريق بداية من حصار حصن بابلون في مصر، إلى أن عبروا
مضيق جبل طارق، وما بين هذين المكانين من أحداث . لقد كان الطريق إلى الأندلس طريقاً
إلى الله، ولله ... وقَّاه السابقون الأولون حقه، وتركوا للأجيال من بعدهم الأسوة والقدوة
لعلهم يقتدون .

* * *

• أرض البطولات .

الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا .

رواية تاريخية تعرض قصة من قصص كفاح أمتنا كتبها شعبنا المؤمن بشفرات السيوف ، وخبرها يزكي الدماء ضد المستعمر الفرنسي ... ليس فيها من خيال القاص إلا ما يربط بين الوقائع ، ولا من خلق الكاتب إلا ما تستدعيه طبيعة العمل القصصي لتصوير الأحداث ... فزمنها هو ربيع القرن الذي أعقب الحرب العالمية الأولى ، ومكانها هو تلك الربوع الشامية ، وأشخاصها مواطنون معروفون . وقد كُتبت هذه القصة بلغة فصحة ليكون في ذلك بلاغ لأولئك الذين يشيعون بين الناس أن هذا الفن من القول لا يسلس إلا للعامية ، ولا يؤدّي إلا بها .



• البطولة .

الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا .

إن للبطولة مقومات قد لا توجد عند كل شجاع ... وللشجاعة سمات قد يتحلّى بها قُطاع الطرق ... فهل البطولة هي الشجاعة 119 وهل كل شجاع بطل 119 إن هذا الكتاب محاولة واعية جادة لإبراز جلال معنى البطولة وسمو قيمتها ، تبدأ بالنظرة اللغوية لتنتقل إلى النظرة الموسوعية . لقد حدد المؤلف - رحمه الله - للبطولة إطاراً أبرز من خلاله أهم معالمها ، والبواعث التي تبعث عليها ، وضرب لكل باعث منها قصة حقيقية واقعية من تاريخنا الثري الغني . إن هذا الكتاب قدوة في سلامة الفكر ، واستقامة القصد ، ونبل الغاية ، وصفاء اللغة ، وإيجاز العبارة ، ووضوح التعبير .

هَذَا الْكِتَابُ

إِنْ تَعَلَّمْنَا كَيْفَ نَدْرُسُ دِرَاسَةً فَعَالَةً لِأَبْعَدُ أَثْرًا
وَأَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ اِكْتِسَابِ الْمَعْلُومَاتِ ...

فَالدِّرَاسَةُ فَنٌّ يَهْدِفُ إِلَى تَعْلِيمِ الطَّالِبِ :

كَيْفَ يَفَكِّرُ، وَيُنَاقِشُ، وَيُلَاحِظُ.

وَكَيْفَ يَحْلُلُ، وَيُنظِمُ، وَيُرَكِّزُ.

وَكَيْفَ يَسْتَوْعِبُ، وَيَخْتَرِنُ، وَيَطَبِّقُ.

وَذَلِكَ إِلَى جَانِبِ حِرْصِهِ عَلَى تَنْظِيمِ الْوَقْتِ

وَالْإِفَادَةَ مِنْهُ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ.

إِنْ هَذَا الْكِتَابُ يُعَرِّفُ الطَّلَابَ الطَّرِيقَ الْأَمْثَلَ

لِلنَّجَاحِ وَالتَّفُوقِ ...

وَيُزَوِّجُهُمْ أَمَامَهُمُ السَّبِيلَ وَاضِحَةً؛ لِيُنَالُوا حَدًّا أَعْلَى

مِنَ الْفَائِدَةِ بِيَذُلْ حَدًّا أَدْنَى مِنَ الْجُهْدِ.

النَّاشِرُ